أريد لأطفالي أن يكونوا مبدعين

لا يشعر الإنسان اللامحدود أنه يرتبط مع الذين يشاركونه في حياته بعلاقة مُلكية، ويعرف أنّ أفضل طريقة لتخسر أيّ شيء هي أن تحاول التشبّث به بقوة، وأنه في الحقيقة لا يعرف الحسد، ولكنه يتبنّى منحى تعاونيًا في حلّ أي مشكلة، ولا تزعجه أيّ تسميات يلصقها الناس به أو بالآخرين، ويفهم الحقيقة في التناقضات الظاهرة، كما يفرح لنجاحات الآخرين، ويرفض لعبة المقارنة / التنافس رفضًا تامًّا. لا يوجد لديه أبطال محدودون، ويؤمن أنه يوجد مقابل كل بطل مشهور ملايين الأبطال المغمورين، وهو يرى بطلًا في كل إنسان، إنّه يعمل بجد لتحقيق حلمه بدلًا من أن يعيش هذا الحلم من خلال خبرات الآخرين.

وهو لا يعطي قيمة إيجابية للتطابق من أجل التّطابق، إنه قادر على تجاوز العادات والتقاليد السخيفة بسهولة وهدوء ما أمكنه ذلك. وهو يتعامل مع الآخرين بنزاهة طفولية بريئة صافية، ويرخي العنان لخياله الإبداعيّ في أيّ أمر، ويتعامل مع كلّ شيء في الحياة من وجهة نظر إبداعيّة.

إذا كنت لا ترى في أي وضع إلّا ما يمكن أن يراه الآخرون، فيمكن أن يُقالَ إنك ضحية لثقافتك.

إتشيا هاياكاوا (S.I. Hayakawa, 1906–1992)، أكاديمي وسياسي كندي من أصل ياباني

إنّ التّخيّلَ بدايةُ الإبداع؛ فأنت تتخيّل ما ترغب فيه، وترغب فيما تخيلته، وفي النهاية ستجد ما ترغبه.

جورج بيرنارد شو (George Bernard Shaw, 1856 –1950)، مؤلف إيرلندي شهير

لقد كُتِب كثير عن الإبداع والأطفال، مع تأكيد خاص أنّ بعض الأطفال مبدعون وآخرين غير مبدعين، أما أنا فلي رأي مغاير بخصوص إبداع الأطفال؛ لأني على يقين أنّ الأطفال جميعهم مبدعون، وأننا نشجع الإبداع الفطريّ أو نكبته من خلال الطرائق التي نتعامل بها معهم، ويمكن لهذا الإبداع أن يتفتح عند تحفيزه وتعزيزه. ومن المهم تنشئة الأطفال ليكونوا مبدعين إلى أقصى ما يستطيعون؛ لأن ذلك سوف يحدث فرقًا كبيرًا في كيفية تعاملهم مع كل شيء يفعلونه في الحياة عندما يكبرون.

ما الإبداع لدى الأطفال؟

الإبـداع يعني التّفرّد، إنه يعني التعامل مع أيّ مشكلة في الحياة من منظور فريد، ويعني حرفيًّا: إضافة شيء جديد إلى الوجود. إنّه ليس محصورًا في الهوايات الفنية أو الموسيقيّة، إذ يمكن أن تكون مبدعًا على نحو استثنائي، وتمارس فـي الوقت ذاته أيّ شيء يستهويك؛ فمثلًا يمكن أن يكون تحضير طبق خضراوات (سلطة)، أو تصليح دراجة هوائيّة، أو الشقلبة في الهواء، أو النزول في بركة سباحة، أعمـالًا إبداعيّة، لذلـك فإنّ الأطفال الذين يُسمـح لهم باستخدام تميّزهـم وتفرّدهم يتصرفون في واقـع الأمر بطريقة إبداعيّة. أما نقيض الإبداع فليسـ الآلية أو الغباء، بل الانصياع أو الخضوع، أو أن يكون الإنسان إمّعـة. إنّنا نكبت الإبداع عند الأطفال عندما نطلب إليهـم أداء الأشياء بالطريقة التي تعلموا بها فقط، وأن يلونوا ضمن الخطوط المحدّدة دون استخدام خيالهم، وأن يقلدوا البالغين بدلًا من ابتـكار طريقة خاصة بهم، أو أن يضعوا رؤوسهم بين الرؤوسـ ويفعلوا ما يُؤمرون به. إنّ الأطفال جميعهم يتّسمون بالتّفرّد؛ فكلّ واحد منهم فريـد بذاته، ولم يسبق في تاريخ كوكبنا أن أطلّ أحد قبله على هذا العالم ورآه تمامًا مثلما يراه هو الآن.

أما معيـار الإبداع فيكمـن في الاستعـداد والقدرة علـى الاستفادة مـن هذا التّفـرّد في مهام الحيـاة كلها، ولسوء الحـظ أنّ الأطفال يتعرضون لضغوطـات شديدة تؤدي إلى كبـت الإبداع لديهم على الرغـم من الادعاء بأنها تحفزه. ويقول رائـد التّطوير الذّاتيّ، المؤلـف الأمريكي إيرل نايتنغيل (Earl Nightingale, 1921 /1989):

«قـد تكون تصرفات الطّفـل وأفعاله مبنيـة على افتراضات كاذبـة؛ فالطريقة التـي يُربّى بها الأطفـال في البيت والمدرسة هي التـي تعطيهم صورة مشوشة تمامًا للحيـاة في المجتمعات الحرة. إنهم يتعلمـون أن يكونوا حذريـن وأن يتجنبوا الأخطار حتـى لا يصابوا بـأذى، وأن ينسجموا مع روح القطيـع والأفكار السائدة، وأن يسيروا فـي الحياة على رؤوس أصابع أقدامهـم بدلًا من الجري فيها والمرح في أرجائها. وفي المحصلة، فإنهم يجهلون ما ينتظرهم».

وفـي رأيي أنّ الأطفال الذين يربّـون بطريقة تشجّع الإبداع الفطريّ هـم الأطفال الذين يُسمح لهـم التّصرّف بحريّة، ولا يجبرون علـى الانصياع، وعيش الحياة مثلما يعيشهـا الآخرون فقط. مثل هؤلاء الأطفال، يتعلّمون منذ البداية أنّ الانقياد والتّكيّف مع الحياة أهداف تافهة لا تستحق بذل جهد في سبيل تحقيقهـا، وأن لا بأس عليك من تحـدّي السّلطة القائمة، وطرح تسـاؤلات، وتجربة طرائق جديـدة لإنجاز الأعمال. وعلى الرغم من أنك نادرًا مـا تسمع أحد الآباء يقول: لا أريد لطفلي أن يكون

مبدعًا، فإن معظم تصرفات الآباء تدعم هذا الاتجاه؛ فأنت قد ترغب في أن يكون طفلك مبدعًا، ومع ذلك، فلربما كنت تكبت الوصول إلى هذا الهدف بإصرارك على التزام طفلك بما هو سائد في المجتمع، وتأدية ما يُناط بهم بالطريقة التي تتوقعها السّلطات ذات الوصاية.

أما المكونات الدقيقة للإبداع فيصعب تحديدها، فقد بذل الخبراء جهودًا مضنية لتحديد معنى الإبداع بدقة، لكنهم لم يتوصلوا بعد إلى اتفاق عام على ذلك. ومع هذا، فإنّنا نستخدمه بإعجاب شديد. وبدوري، سوف أقدّم رؤيتي لمكونات الإبداع، وهي لا تشبه أيّ شيء قد تكون قرأته في مراجع الطفولة والإبداع.

إنّ الهدف من تأليفي هذا الكتاب هو مساعدتك على تعزيز الإبداع عند الأطفال، من خلال عدم إخماد الشّرر قبل أن تتاح لها فرصة إشعال وهج الإبداع في نفوسهم، لذلك أقترح أن تهتم كثيرًا، وتتصرف بإيجابية لمساعدة أطفالك على التعبير عن رغباتهم الإبداعيّة الجامحة، بدلًا من تحويلهم إلى انقياديين، لذلك يتعين عليك وأنت تقرأ هذا الفصل، لا سيّما الإستراتيجيات المقترحة لمساعدة أطفالك على تنمية ميولهم الإبداعيّة الغريزية، أن تتذكر كلمات رالف والدو إيمرسون (Ralph waldo Emerson، 1803 ـ 1882)، أحد أشهر الفلاسفة والشعراء الأمريكيين: «يتوصل كل إنسان في مرحلة ما من مراحل تعليمه إلى قناعة مفادها أنّ الحسد جهل، وأنّ التقليد انتحار، وعلى كلّ من يريد أن يكون إنسانًا ألا يكون إمّعة».

ولا شك في قوة هذه الكلمات، وهي من صميم معنى أن يكون شخص ما مبدعًا. وما أعنيه بالشخص المبدع بدقّة هو: «الحرية في تطبيق تفرده على أفكاره وأفعاله جميعها ما دام أنها لم تتعارض مع حقّ أيّ شخص آخر في التّصرّف ذاته». ويمكن أن يحظى الأطفال بهذه الفرصة الرائعة في كلّ يوم من أيام حياتهم، أو أنهم قد يسعون إلى المطابقة وتقليد الآخرين وأداء ما يُؤمرون به، لذا فإنّ أسلوبنا في الحياة، سواء كان إبداعيًّا أو انقياديًّا، يعتمد على ما نعزّزه ونسمح به، وهذا ما تتناوله المكونات الرئيسة السبعة الآتية للمنحى الإبداعيّ لتنشئة الأطفال:

1. **الشّعور بالاستقلاليّة:** تتضمّن العمليّة الإبداعيّة إضافة شيء جديد إلى الوجود، أو التّعامل مع مشكلة ما من منظور جديد. وحتى يستطيع الأطفال أن يبدعوا يجب أن يكون لديهم شعور قوي بالاستقلاليّة. ويتعين عليهم معرفة أنّه غير مطلوب إليهم تلبية رغباتك ولا رغبات أيّ شخص آخر ليتمكنوا من إنجاز الأشياء الموكولة إليهم، فإذا كنت تربّي

الأطفــال ليظلوا متّكلين عليــك، وانتظار موافقتك، والحصول علــى إذن منك، أو الالتزام بالقوانين، واتخاذ الطريقة التي تفرضها عليهم، فأنت بذلك تقضي على ميلهم الإبداعيّ. ومع هذا، فإنّ تشجيع الاستقلاليّة لا يعني التّسامح مع الاستهتار، وعدم تحمّل المسؤولية، بــل يعني ببساطة معاملة الأطفــال على أنهم متفرّدون ومتميّــزون، وكذلك تشجيعهم على البحث عــن طرائق خاصة بهم للتعامل مــع كلّ شأن في الحياة قدر الإمــكان. أما الأطفال الدّارجــون، فإنّ تعزيــز الاستقلاليّة لديهــم يعني السّمــاح لهم بصنع لعبهــم، وممارسة ألعابهــم دون تدخل منك. في حيــن يعني تعزيز الاستقلاليّة لمن هــم تحت سن المراهقة السّماح لهم بكتابة قصصهــم في المدرسة، واختيار أصدقائهم بأنفسهم. أمّا من هم في مرحلة المراهقــة فيعني السّماح لهم بالتعبيــر عن آرائهم، وتشجيــع الفتيات على تجربة إعداد وجبات طعام جديدة.

إنّ الإنســان المبــدع هو الذي يتّصــف بالاستقلاليّة، وهــو الذي لا يفسح ولن يفســح مجالًا لأيّ كان أن يفكر أو يتصرّف نيابة عنه. فإذا كنت تريــد لأبنائك أن يكونوا مبدعين، فامنحهم استقلاليّة وحريــة معقولة ليفكــروا كما يشــاؤون، وليختبــروا الحياة بأنفسهــم، وتجريب طرائقهــم الخاصة، والتّخلّي عن الطرائق المعهودة إن كانت لا تناسبهم، لا أن تكبت الإبداع عندهم لحاجتك إلى إبقائهم معتمدين عليك.

2. **عدم اللجوء إلى تسميات ونعوت:** تتطلّــب العمليّة الإبداعيّة أن يكون الإنسان مُنفتحَ العقل على الخبــرات الجديدة، وعلى كلّ ما يصادفه، وأن يكون مستعــدًّا لارتياد مجالات حياتيّة غير مطروقة، وهذا يعني توقّف الآباء عن إطلاق تسميات ونعوت على الأطفال، وأن يعزّزوا، ميولهــم الفطريّة لتجريــب أيّ شيء وكلّ شــيء معتمدين على نزواتهــم ومظاهر الطّبيعة بدلاً مــن ذلك. وهذا يعني التّخلّص مــن بطاقات التسميات والنعوت مثــل: الطّفل الأكبر، الأوســط، أو الأصغر، أو الطّفل الذّكــي، أو بنت أبيها، أو الجميلــة، أو الفوضويّ، الكسول، بطيء التّعلّــم، بذرة فاســدة، مصرف العائلــة، وصمة عــار، الحسناء، مامــا الصغيرة، المتمرّد، الأنيق، الوسخ، الخجــول، الفنان، الزّعيم، أو أيّ وصــف آخر يمكن استخدامه. إنّ السّبــب في الدّعوة إلى التّخلّص من هذه الأوصــاف هو أنّ الطّفل المبدع يمكن أن يكون جميع ما ذُكر سابقًــا في يوم من الأيام، أو لا يكون، فطوال ساعــات النهار يمكن للطفل أن يلهو بالكرة أو بالمكعبات، ثمّ يشعر بالكســل، ومن ثَمَّ يرغب بعد ذلك في الرّسم، ثم يلعب

لعبة أخرى؛ أي إنّه قد يحسّ بخمول في لحظة من اللحظات، وبطاقة نشاط كبيرة في لحظة أخرى. ويبدو أنّ هذه التّعدّديّة مهمّة جدًّا للأطفال المبدعين جدًّا؛ أي توافر فرصة تجربة جوانب الحياة كلّها دون تبويبها أو تصنيفها.

ونادرًا ما يطلق الآباء تسمية أو وصفًا على أكثر من طفل واحد من أطفالهم، وتظلّ هذه الأوصاف ملتصقة بمن وُصِف بها على الرغم من محاولاته لتغييرها. وعندما يتقبّل الأطفال الأوصاف التي تُلصق بهم، فإنه يستسلمون ويتحولون إلى أفراد غير مبدعين، وهو أمر لم يكونوا يرغبون فيه أصلًا. إنّهم في هذه الحالة يستمعون إلى منطقهم الدّاخليّ الذي يقول لهم: لِمَ أقاوم ما دام الجميع ينظرون إليّ على هذا النّحو؟ ولن يمضي وقت طويل حتى يجسّد هؤلاء الأطفال التسميات التي أُطلقت عليهم، وسوف تتوقّف عصارات إبداعاتهم عن الجريان، فيحملون هذه الصّفات التي وُصِموا بها فعلًا. وعليه؛ فإنّ الإبداع يتحقّق عندما يرى الأطفال أنفسهم قادرين على فعل أيّ شيء، وغير مكبّلين بتسمية أو وصف بعينه.

3. **التّعوّد على الصّدق والنّزاهة الشّخصيّة:** هناك ارتباط قويّ بين الإبداع من جهة والصّدق والنّزاهة الشّخصيّة من جهة أخرى؛ فمن أجل أن يتمكّن الطّفل من تطبيق تميّزه على أيّ مهمة في الحياة، يجب أن تكون لديه ثقة مطلقة في نفسه على أنهإنسان نزيه، موثوق، ويُعتمد عليه، فإذا كان الطّفل صادقًا مع نفسه، فعندئذ يكون حرًّا في استخدام تلك النّزاهة الشّخصيّة في الحياة وجميع مهامها وتجاربها، أما الطّفل الذي يخادع نفسه، ويكذب على الآخرين، ويعيش حياة زائفة، فسوف يتعامل مع مشكلات الحياة من منظور حاجته إلى إخفاء الخدعة التي اخترعها، ونتيجة لذلك سوف تراه يتصرّف بطريقة تهدف إلى كسب استحسان الآخرين، والحفاظ على استمرارية كذبته، لا أن يكون صادقًا ونزيهًا. لذلك، فإنّ الأطفال الذين يتصرّفون بناء على بعض توقّعاتهم النّفسيّة المصطنعة، يتصرفون بطريقة زائفة. ولا يمكن بأيّ حال تعزيز الإبداع في طفل يسلك درب الزّيف والخداع.

إنّ الطّفل المبدع يحتاج إلى الشّعور بسلام مع ذاته حتى إن وقع في أخطاء، وهو بحاجة إلى معرفة أنّه يطبّق تميّزه في إدارة حياته، وأنّ التّصرّف الاستعراضيّ المصطنع ليس سخيفًا فحسب، بل سوف يؤثر سلبيًّا في الإبداع لديه. لذلك، فإنّ صدق الإنسان مع نفسه متطلب ضروريّ في العمليّة الإبداعيّة، ومن ثم يجب أن يتعلّم الأطفال في مرحلة مبكرة أهمية أن يكونوا صادقين مع أنفسهم.

obeikandl.com

هنـا، من الممكـن أن تخاطبهم بجمل على شاكلة: ربمـا تشعر أنّك بحاجة إلـى أن تخدعني، أو حتى تخدع معلّميك، ولكن عليـك الالتزام بالصّدق مع نفسك. أو أنت الوحيد الذي يعرف هل تبذل أقصى جهـدك، وهل أنت راضٍ وسعيدٌ بهذا الجهد. أو في لحظات الهـدوء، عندما تكون وحيدًا في سريرك، حـاور نفسك، واكتشـف هل كنـت صادقًا معها. وكلمـا ساندت الأطفـال بمساعدتهـم على مواجهة أنفسهـم بصدق مـن دون خوف، ومـن دون الاهتمام برأيك أو بـرأي الآخرين، ساعدتهـم أكثر على الثقـة بأنفسهم. وكلما وثق الطّفل بنفسه مع تقدّمه فـي العمر صار أكثر استعدادًا لاستخدام طريقته الفريدة في كلّ شأن يتولاه، وهذا ما يميّز الطّفل المبدع من غير المبدع. وفي الواقع، فإنّ عمليّة تعليم النّزاهـة الشّخصيّة تبدأ بكاملها عندما يكون الأطفال صغـارًا، وعندما تمتدحهم لقول الصّدق بدلًا من معاقبتهم على صدقهم هـذا، أو عندما تتوقّع منهم الارتقاء إلى مقولة شكسبير الشهيرة: «الأهم من كلّ شيء أن تكون صادقًا مع نفسك».

4. **عدم خوف الطّفـل من عظمته:** لا يخاف الأطفال المبدعـون من قدراتهم وتفوقهم، وهم يتلقـون التشجيع على النّظـر إلى أنفسهـم بطرائق غير مقيـدة لهم أبدًا. إنّهـم يتعلمون عـدم الإيمان بالأبطال، أو إعطاء أهمية للآخرين أكثر ممـا يعطونها لأنفسهم. إنّ الإبداع والمجازفـة صنوان، لـذا على الأطفـال أن يعرفوا منـذ الصّغر أنهم يملكـون في داخلهم عبقرية وعظمة، وباستطاعتهم أن يجعلوا تلك السمات قابلة للتّفتّح. أما الكيفية التي ينظر بها الطّفل إلى أبطاله فأمر في غاية الأهميّة في عملية الإبداع؛ فإذا كان يعتقد أنه لن يصل أبـدًا إلى مستوى شخصيّـة رياضيّة أو موسيقيّـة، أو أنّ أيّ بطل أكبر وأقـوى منه وأفضل، فسوف يبدأ في الخوف مـن العظمة الكامنة في داخله، وهنا يأتـي دورك بوصفك أبًا، في أن تجعـل الأبطال يبدون للطفل عاديين، ولكنهم فريـدون ومتميزون. والسّبب في ذلك أنّ مهمة تربية الأطفـال الموهوبين تستند أساسًا إلى مساعدتهـم على التّفكير في عظمتهم هم، لا أن يعيشوا حلم حياتهم من خـلال إنجازات الآخرين حتى لو كانوا أبطالًا بنظرهم. وتعني هذه التّربية أيضًا مقابلة السياسيين، ومديري الشركات، والفنانين، والكتّاب، وأيّ شخـص آخر يُعجبون به، ولكن شرط النّظر إلى مثل هـؤلاء الأشخاص على أنهم أمثلة لما يمكـن أن يحققوه إذا ما اختاروا ذلك لأنفسهم. لذا يتعيّن عليهم رؤية العظمة في داخلهم، والشّعـور بالرغبة في تفجيرهـا وإظهارها إلى السّطـح، وأنّ عليهم اعتبـار هذه النماذج مصابيـح تُضاء لهـم ليسيروا على هـدي أنوارهم الدّاخليّـة، لا أن يفترضـوا أنّ الآخرين يتفوقون عليهم فطريًّا.

ويجب أن يُسـأل الطّفل الذي يدرس عن المخترعين العظام عمـا يمكن أن يخترعه في يوم ما، كأن نسألـه مثلًا: ما الـذي تريد اختراعه؟ هـلّا اخترعت آلة تُقلّنـا إلى كوكب آخر مـن خلال إعادة ترتيب جزيئياتنا؟ هل تعتقد إمكانيّة هذا؟ هل ترى أنك ستخترع في يوم ما شيئًا يخدم البشرية؟ إنّني على يقين أنّ باستطاعتك إنجاز أيّ مهمة، فأنت ذكـيّ جدًّا، وذو أفكار نيّرة. إنّ الحديث مع اليافعين بهذه الطريقة يساعدهم على الشّعور بإمكانيـة أن يكونوا عظماء ومشهورين، وأنّ الذين سبقوهم لم يكونـوا أشخاصًا خارقين، بل عاديين مثلهم تمامًا، وأنّهـم ليسوا أبطالًا، بل قدوة يمكن الاحتذاء بهم لاكتشاف عظمتهم في أيّ مجال يختارونه.

5. **قـوة الإدراك:** يتمتـع الأفـراد الموهوبـون بوعـي شديـد تجـاه أنفسهـم، وهـي مزيـة لا يشاركهـم فيها الأفراد المُصنّفون أنهـم غير مبدعين. وفي كتابه **الشجاعـة على الإبداع** ***The Courage to Create*** يقـول الفيلسـوف الوجـودي الأمريكي رولو مـاي Rollo May 1909 ـ 1994: «الانغماسـ والانهمـاك والاستغراق مفردات تستخـدم عادة لوصف حالة العالم أو الفنان في أثناء تركيزه في عمله، أو حتى الطّفل وهو يلعب».

ومهمـا كان الوصف أو التسمية التي نطلقهـا عليه، فإنّ الإبداع الحقيقـيّ يتّسم بحدّة الوعي أو الإدراك المتنامي، أو القدرات الإدراكيّة الموسّعة. ولذلك، فإنّ تدريب الأطفال على الجَلَدِ والمثابرة فـي المجال الذي يستهويهم ويثيرهم، وعلى الإحساس بالقوّة أو الرّقة العاطفيّة، كما يقول رولو ماي، تعني الشيء ذاته عندما تربّي الأطفال ليكونوا واعين إبداعيًّا.

عندمـا تراقب الأطفال وهم يلعبون، ستجد أنهم منهمكون فـي ألعابهم واختراعاتهم الخياليّة التـي يبتدعونها، ويمكن أن تدعم هذا الانهمـاك بسؤالهم عن قصصهم وشخوصهـا الخياليّين. إنّ تشجيعـك لهم على تنفيذ تمثيليّات ومسرحيّـات هزليّة، واختراع ألعاب جديـدة، ومديحك لهم ولما يقومون به، سيؤدي إلى تنمية الإبداع لديهم، وسوف يظهر ذلك في محاولاتهم اللاحقة.

أمـا الأطفال الرّضّع، فحـاول التجاوب معهم عندمـا يمسكون دمية، أو يحدّقـون في شيء ما، وتحدث إليهم عـن الشيء الذي ينظرون إليـه، وأثنِ عليهم عندما يتابعون حركـة إصبعك بأعينهم، أو شاركهـم في الضّحك بصوتٍ عـالٍ. وعندما يصبحون أطفالًا دارجين تـزداد حدّة طبيعة عقولهم المتسائلـة عن كلّ شيء تقريبًـا، وكلما زاد مديحك لتلك الحدّة العاطفيـة زادت مساعدتك لهم على التّفكيـر والفعل. وفي هـذا السياق، يجـب أن تشجعهم وتمتدحهـم وهم يقضون ساعـات طويلة في

ترتيب لعبهم وإعادة ترتيبها، أو البحث عن الحشرات في أحد الحقول، حتى وإن كان ما يقومون به متعبًا لك. وكلما أعطيت الأطفال فرصة للتركيز دون مقاطعة أو تثبيط، عـزّزت لديهم مكوّنًا رئيسًا في عملية الإبداع.

إنّ الأطفال تحت سن البلوغ يتمتعون بحالة استثنائية من الخيال والحماسة والحدّة العاطفية؛ فعلى سبيل المثال، يمكنهم تكوين نوادٍ خاصة بهم، وتحديد الأدوار المختلفة لكلّ عضو، ويمكنهم كذلك قضاء ساعات ممتعة في كتابة نصّ لإحدى المسرحيات، مركزين في التفاصيل، ومستخدمين خيالهم لإنتاج عمل إبداعيّ. أما المراهقون فينهمكون في جهودهم الإبداعيّة، ويمكن أن يحولوا التقارير المدرسية أو الرحلات الميدانية إلى خبرة تعلّم. وهم يتحدثون إلى أصدقائهم دون توقف بكثير من الإثارة والحماسة غير المألوفة عند البالغين. إنهم يتخيلون بعض الأوضاع الافتراضيّة ويناقشونها. لذلك، كلما ازداد حماسهم، وكلما زاد تشجيعك لأعمالهم، زاد تعليمك لهم أنهم رائعون، وأنه يمكن الوثوق بهم باعتمادهم على أنفسهم لتحديد اهتماماتهم. عندما تعزّز هذه الحماسة ولا تنتقدها، حتى لو كانت بسيطة وساذجة، فإنك تعزّز لديهم الاستقلالية في التّفكير، وهذا هو جوهر الإبداع؛ الاستقلاليّة في التّفكير بحماسة وبأقصى ما يستطيعون.

6. **الحث على المثابرة والثّبات:** عندما ينهمك الأشخاص المبدعون في مشروع ما، فإنهم ينكبون عليه، ويلازمونه حتى استنفاد طاقتهم كلها فيه. ولذلك، فإنّ المثابرة والاستمرارية مكوّنان مهمّان في الإبداع، كأيّ من المكونات التي ذكرتها سابقًا. إنّ من شأن المثابرة والثبات تمكين الإنسان المبدع من تحقيق أي هدف في الحياة، وهذا الأمر ينطبق عليّ أكثر من أيّ شخص آخر عندما يتعلق بالنجاح الذي حققته في حياتي. إنّني أعرف أنّ هناك أشخاصًا أكثر موهبة وتعليمًا مني، ولكنني لم أقابل حتى الآن شخصًا يتمتع بالمثابرة الصّلبة التي أمتلكها في متابعة ما أريد، وأنا مؤمن بشدّة أن لا شيء في هذا العالم، سواء كان موهبة أو عبقرية أو تعليمًا، يمكن أن يحلّ مكان المثابرة والتّصميم، ويتعين عليك عدم نسيان هذا في محاولتك وضع أطفالك على طريق الإبداع.

ويمكنك مساعدة أطفالك في التّعوّد على المثابرة والمواظبة، مع أنّ الرّغبة يجب أن تنبع من داخلهم. وعلّمهم عدم الاستسلام والتّخلّي عن متابعة الأشياء المهمة لهم، وأنّ المستحيل لا وجود له، وأن يروا قيمة المثابرة في حالة أو مشكلة حتى الوصول إلى حلّها. إنّ الأطفال بأمسّ الحاجة إلى شيء من التشجيع على المواظبة لحلّ مشكلة ما، وإذا تلقّوا هذا التشجيع منك، فسوف يبدؤون

obeikandi.com

منذ الصّغر باتخاذ الإجراءات الفرديّة التي سيطبّقونها في حياتهم لتحقيق أهدافهم. وما أتحدث عنه هنا هو التشجيع المحفّز إلى المثابرة، كأن تقول للطفل: استمر في التّفكير لفكّ اللّغز، وابحث عن حلول بطرائق غير معهودة بدلًا من محاولة يتيمة ثمّ التّوقّف والانسحاب. أو: إنني متأكد من قدرتك على إيجاد الحلّ، استمر في المحاولة، وحاول التّفكير بطرائق جديدة للوصول إلى الحلّ. أو: سوف تكون لاعب كرة قدم مشهورًا، أنا متأكّد من ذلك. أو: هلمّ نتمرّن على التّحكّم في الكرة بالقدم اليسرى مدة نصف ساعة أخرى، إنّني على ثقة بأنك سوف تتقن هذه المهارة في مدة قصيرة. أو: إذا التحقت بدورة للتنس الأرضيّ فأنا أصرّ على مواظبتك حتى لو أصبحت مملة؛ إنّ تأكيدك اللعبة طوال مدّة الدروس مهم مثل أهمية امتلاك الموهبة التي لديك منها الكثير.

إنّ هذا التّشجيع اللفظيّ المتواصل أمر مهم في تطوير الإبداع عند الأطفال، وعندما يتعلّمون كيفية التّمسّك بمشروع ما والانهماك فيه، ورفض التّخلّي عن أيّ مشروع من اختيارهم، عندئذٍ عليك مساعدتهم على المثابرة على الرّغم من أنهم قد يجدون الانسحاب طريقًا أسهل من الاستمرار والمثابرة. وبعد اكتساب مزية المثابرة هذه، فإنّهم سيطبقونها لاحقًا على معظم مشروعاتهم في الحياة، وهذا هو الوقت الذي يبدأ فيه شِريان الإبداع بالتّدفّق. لقد اكتشفت أنني إذا ثابرت على كتاباتي، حتى وإن شعرت برغبة في التّوقّف، فإنّ التصاقي الحقيقي بها يساعدني على الكتابة بإبداع أكثر من أيّ وقت مضى، وكلما واصلت عملي أكثر شعرت بمزيد من الارتياح تجاه إنتاجي. وعليه، سوف يخرج الإبداع من أطفالك بصورة طبيعية عندما يمارسون هذه المثابرة في حياتهم بانتظام، وما عليك إلا أن تشجعهم على أن يكونوا فاعلين، وعندئذ سوف يظهر الجانب الإبداعيّ تلقائيًّا.

7. **استقلاليّة التّفكير**: أن يكون الطّفل مستقلًّا يعني أكثر من مجرد عدم التصاقه الشديد بوالديه. ولأنّ الأشخاص المبدعين يفكرون بطرائق فرديّة تمكّنهم من الإبداع، فإنهم يدركون الكون بأصواتهم الدّاخليّة، ولا يصنفونه ولا يجزئونه كي يفهموه. ويتوصّلون إلى أنّ الكلّ مؤلّف من أضداد ظاهريّة، ويعرفون أنّ الكون غير مقسم إلى مجرد ثنائيات؛ حيث اللّون الأبيض في جانب واللّون الأسود في جانب آخر؛ لذلك فهم يبحثون عن دمج الأضداد الظاهريّة، واستبصار ما وراء التّفكير المعتاد عادة. وقد عرّف الفيلسوف والعالِم النّفسيّ ويليام جيمس (1910 _ 1842 William James) العبقرية بأنها: «القدرة على إدراك الأشياء بطريقة غير مألوفة»، وهذا ما يميّز المبدعين من غيرهم؛ وهو التّفكير بطريقة غير معهودة. إنّهم لا يكتفون بما تعوّده الآخرون، بل يتوقون إلى معرفة المزيد، ويتساءلون

عن السّبب مرة تلو الأخرى، فـإذا قابلت تساؤلاتهم بنظرة غاضبة أو بتجاهل لأنك لا وقت لديك لمثل هذه الأسئلـة، فربما تقضي على أيّ رغبة في طرح أسئلـة في المستقبل، وهذا سيضطرهـم إلى البحث عن أجوبة من مصادر أخـرى، أو يفقدهم الرّغبة في البحث عن المعرفة.

علـى البالغين تشجيع التّفكير الإبداعـيّ، والتّفكير بطرائق غير مُعتـادة، وبناء على ذلك، علّم الأطفال عدم وَصْف الآخرين بتسميات وصفات، بأن توضح لهم أنّ الناس جميعًا لديهم صفات كثيرة متناقضة، وبيّن لهم أنّ التّفكير في السّؤال، والاعتراف بعدم معرفة الجواب أفضل كثيرًا من محاولة تزييفه، وعلّمهم أيضًا استخدام عقولهم بدلًا من الاكتفاء بتلقي الإجابة ممن يسمّون أنفسهم خبراء، وكذلك استقصاء أي أمر لديهم شكّ نحوه، ورفض الطاعة العمياء في الحياة.

ولأنّ التّفكيـر الإبداعـيّ يعني طرح أسئلة طـوال الوقت، فـإنّ الأب أمام خياريـن: التشجيع أو التّثبيـط، وإذا أخفـق الأب في العثور على جواب لسـؤال ابنه، فباستطاعته التعـاون معه للتوصل إلى جواب شافٍ. ويتعين على الأب أيضًا أن يعلّم أطفاله الشّكّ في كلّ شيء يُقال لهم عندما يقدّم بطريقة قاطعـة وجازمـة ومسلّم بهـا، والتّأكّد من مصـادر أخرى. إنّ أكبـر درس يمكن تعليمـه للأطفال هو الإيمان بسلامة عقولهم، وهذا هو أحد الشّروط الأساسيّة لأسلوب الإنسان المبدع في الحياة.

إنّ الأطفـال الصغار ربما يكرّرون الاستفهام (لماذا؟) فـي كلّ ساعة من ساعات النهار، وعلى الوالدين تشجيـع ذلك، والاستجابة له بعبارات وأسئلة مثل: أنت رائـع لأنّك حريص على معرفة ما لا تعـرف. أو: في رأيك، لِمَ لـون السماء أزرق؟ أو: في رأيك، أين توجد الجنـة؟ وبعبارة أخرى، يجب أن يشجّع الوالدان تساؤلات أبنائهم، وإعـادة المشكلة إليهم لحلّها، وإذا لم يكن لديك جواب واضح عن سؤال ما فاعترف بعجزك، ثم استقصِ معرفة الجواب معهم كي يتعلموا مبكرًا كيفية شحذ عقولهم. وفي مراحل عمريّة لاحقـة، اطلب إليهم إيجاد وجهات نظر متناقضة، ومن ثَـمَّ التّوصّل إلى الحقيقة بأنفسهـم. وكلما تعلّم الأطفال التّفكير بطريقة فضوليّة، وحبًّـا بالاستطلاع، وبعقل منفتح، ومن دون إصدار أحكام سابقة، تمكنوا مـن توظيف هذا التّفكير في التّوصّل إلى نظريات وحقائق علميّة. وهذا ما يشير إليه الإبداع؛ إنّه توصّل الشّخص إلى حقائق علمية بنفسه دون التّفكير بطرائق مألوفة.

تلك هـي المكونات السّبعة الرّئيسة للإبـداع. وكلما ساعدت الأطفال أكثر علـى التّطوّر والنّموّ فـي كلّ جانب من هذه الجوانب السّبعة، زادت احتمالات قولك: حقًّا، إنّ طفلي مبدع. وإذا كان طفلك

obeikandi.com

مبدعًا، فـإنّ السّبب في ذلك ليس لأنه يحبّ الفنون، والموسيقى، والأدب، أو الاختراع؛ بل لأنه يتعامل مع عالمه بطريقة مختلفة عن الطرائق التي اعتادها معظم الناس. وقبل الدّخول في بعض التفاصيل الخاصـة بمساعدة الأطفال على تنمية الإبداع لديهم، سـوف أقدم تصوّري المُختصر لما يكون عليه الطّفل المبدع الحقيقي وهو يشق طريقه في الحياة. ولربما تدهش من بعض هذه الصفات، ومع ذلك فهي تبدو مشتركة بين أولئك الأطفال الذين يربّون على أن يكونوا مبدعين.

لمحة موجزة عن الأطفال المبدعين

الإبداع منحى حيـاة، إنه اتجاه يقودنا إلى مزيد من تحقيق الـذّات؛ لأنه يسمح لنا بالتّعبير عن ذواتنا المتميّزة فـي مشروعاتنا الحياتية كلّها. إنّ الطّفل المبدع ليس هو الذي يتعلّم كيفية استخدام الحاسـوب وهو في الرّابعة مـن عمره، ولا الذي يُبدي ميلًا إلى الرسـم أو استخدام الأدوات، ولا يعني الإبـداع حالة ما قبل الشعور! بل إنّ كلّ طفل لديه قدرة إبداع كامنة، وما يحدد أن الطّفل سيعيش حياة إبداعيّـة هو مدى سماحنا لـه بتحقيق تلك القدرة، وليـس الجينات الوراثيّـة، أو الكروموسومات، أو تاريـخ العائلة، أو الوضع المالـيّ للأسرة؛ لأنّ الإبداع يتخطـى هذه العناصر كلّها. ومـع أنّ كثيرًا من الأطفـال قد يترعرعـون وهم يتمتعون بمواهـب وقدرات خاصة تفـوق مواهب وقـدرات آبائهم، فإن الطّفـل المبـدع عمومًا هو الطّفـل الذي يتلقّـى التّشجيع مـن الأشخاص المهمّين الذيـن يحتكّ بهم يوميًّـا ليظل مبدعًا طوال حياتـه، وليس فقط تهيئة الفرصة له ليكون مـن المبدعين. وسوف تجد في الصفحات الآتية عرضًا موجزًا لصفات هؤلاء الأطفال العاديين والطبيعيين، ولكنهم مبدعون جدًّا.

من صفات الأطفـال المبدعين أنهم يعشقون اللعب واختراع ألعـاب جديدة، وهم يجدون متعة كبيرة فـي رسم أدوار جديـدة، وتوزيعها علـى شخصيات مُبتكـرة يؤدّيها كلّ فرد فـي الفريق. إنّهم يستمتعـون بطرح أسئلة عـن كلّ شيء، وحبّ الاستطـلاع لديهم لا حدود له، وهـم يبدون ـ كذلك ـ اهتمامًا بـكلّ حدث يدور حولهم، ويُجازفـون بتجربة أشياء جديدة بدل الخوف مـن المجهول. إنّهم في قمـة سعادتهم عندما يُتركون على هواهـم وتلقائيتهم، وعندما يُمارسـون طرائق جديدة للمرح. إضافـة إلى أنّهم يستمتعون بكلّ شـيء مُعطى لهم ليلعبوا به؛ فخرطـوم ريّ الحديقة نافورة عندهم، وعلبـة طعام معدنية تصبح كرة يركلونها ويلهون بها، وأيّ بيت تحـت الإنشاء فرصة لتجربة اكتشاف عالم مـن الأخشاب، والطّـوب، وخلطة الإسمنـت، وأدوات البنـاء الأخرى وموادّه، وهـم يستفيدون مـن كلّ شيء مستعمل يقع تحت أيديهـم، يصنعون منه سيوفًا ودمى وزينـةً. إنّ الأطفال المبدعين لا

obeikandl.com

يحتاجون إلى جهاز حاسوب أو مذياع أو تلفاز لتسليتهم، بل قد يجدون التّسلية في غطاء سرير قديم، أو عصا، أو بعض الحجارة ليبنوا منها خيمة يلهون فيها.

الأطفال المبدعون يسألون (لماذا؟) طوال الوقت، لذا يجب تشجيعهم على ذلك. وهم يثقون بأنفسهم لتحقيق نتاجات إيجابيّة مهما كان المشروع الذي يعملون عليه. إنّك إذا سألت طفلة مبدعة أو طفلًا مبدعًا هل باستطاعته قيادة دراجته الهوائية إلى قرية تبعد عن بيته أربعين ميلًا، فسوف يقول: طبعًا، سأحاول ذلك إن سمحت لي. ويُعرف عن الأطفال المبدعين أنهم يملكون في داخلهم قدرات كامنة لا حدود لها، وأنّهم مستعدّون للمجازفة التي تُطلب إليهم دون خوف من الإخفاق. إنّهم يثقون بأنفسهم، وتنبع هذه الثقة من تصديهم لكلّ شيء يقومون به بطرائق فريدة؛ فهم قد يحاولون القفز عن منصة الغطس من علوّ ثلاثين قدمًا وهم مطمئنون، فما السبب؟ إنّه الثّقة بالنّفس والتّأكّد من النّجاح. وقد ترى ابن الثمانية عشر شهرًا يحاول القفز في الهواء على حافة السرير، ويكرّر المحاولة إلى أن ينجح في ذلك، إلى أن يُقال له إن ما يفعله خطر جدًّا، وإنّ عليه التّوقّف عن ذلك. وهم قادرون على العمل حتى ساعة متأخرة من الليل في إعداد عربة، مع بناء منصّة لاحتفال مدرسيّ، وإضافة لمساتهم الفنية إليها، وسوف تجد أنهم يرتدون ملابس الكبار، في حين تعدّ الفتيات مستحضرات التجميل وهنّ يتحدثن إلى عرائسهن، وقد يعملون أيّ شيء يخطر في ذهنهم.

إنّ الأطفال المبدعين يطلقون العنان لأفكارهم دون قيود، ولا يكبتونها في صدورهم. ولأنهم لم يتعلموا الحذر والتّوجّس بعد، فإنّهم يجازفون قليلًا، ويوجد لديهم أيضًا حسّ داخليّ لا حدّ له لتوقع الذهاب في رحلة، أو قضاء يوم على الشاطئ، أو المشاركة في لعبة كرة قدم، أو حضور حفلة عيد ميلاد، فهم يحبّون الحركة والانطلاق، ويكرهون الجلوس طوال حياتهم متفرجين. إنّهم يتميّزون بنفاد الصبر إذا كانوا ذاهبين إلى مكان يستهويهم، فتراهم يسألون: ألم نصل بعد؟ متى سنصل؟ هل وصلنا؟ وفي أوقات الانتظار يخترعون ألعابًا وأشياء مسلية لقضاء الوقت. إنّهم دائمو الحركة، وذوو عقول نشطة، ويتوقون إلى المشاركة في مسيرة الحياة لا الاكتفاء بدور المتفرّج ومشاهدتها وهي تنقضي.

وغالبًا ما يفضل الأطفال المبدعون التّعلّم والعمل وحدهم؛ لأنهم لا يحبّون المقاطعة بين كلّ دقيقة وأخرى. وهم بنظر الآخرين – في الأغلب – غريبو الأطوار، ويمكن أن يصنّفوا خطأً على أنّهم من ذوي التحصيل المتدني إن لم نتحدّهم ونشجعْهم. وفي كثير من الأحيان، يراهم الآخرون على أنهم مزعجون ومثيرو مشكلات بسبب أسئلتهم المتكرّرة، ولا يهدؤون أو يجلسون أو يفعلون كما يفعل

غيرهم. ويمكن أن يطلق علـى الطّفل المبدع اسم مهرّج الصّفّ، أو الانعزالـيّ، ولكنّ هذه التّسميات غالبًا ما يطلقها الأشخاص غير المبدعين. إنّ الأطفال المبدعين يبحثون عن تعدّد وجهات النّظر، ولا يكتفون بوجهة نظر واحدة، وهم يحبّون الكتب، وتسحرهم صور الحيوانات وكلّ منظر يشاهدونه على التلفاز، وخاصة الإعلانات. وتعدّ الموسيقى مصدر فـرح لهم، وغالبًا ما يقلّدون الكلمات ويرقصون مـع اللحن حتى وهم في مرحلة الرّضاعة. إنهم يجدون الإثارة فـي كلّ شيء، ولا يحكمون على أيّ أمر بأنـه سيئ أو جيد، إضافة إلى أنّهم يتابعون كلّ ما في خارج البيت من طيور، وديدان، وقطط، وكلاب، وأزهار، وريـاح، ومطر، وثلج، ولا يبدو أنهم يتعبون من التّجوال فـي الطبيعة، في محاولة لاستكشاف كنهها، وابتكار تفسيراتهم لكون الأشياء على ما هي عليه. وهم يلهون بكلّ شيء؛ ولذلك، فإنّ أياديهم تظل متسخة فـي الأغلب، ومن الصعـب المحافظة على نظافتهـم وتهذيبهم، وهم يميلـون إلى لعبة تركيـب القطع، والمكعبات، والمتاهات، واللعب التي تحفّز عقولهم على التّفكير، وهم بارعون في حلّ الغموض إذا ما تُركـوا وحدهم دون قوانين أو قيود. إنّهم يحبّون رسـم أنفسهم، واختراع قصصهم، والاشتغال بالغـراء، ومعجون اللصق، وقصاصات الورق والمواد اللامعـة، وكلّ المواد والأدوات التي تعدّ من النّفايات، وفي الحقيقة إنّ سلة المهملات ليست كذلك بنظرهم؛ إنّها كنز.

إنّ الأطفال المبدعين يقرؤون كثيـرًا لإعداد مشروع يستهويهم، ويرجعون إلى مصادر متنوعة عـن الاكتشافات الجديدة، ومع ذلك، فقد تُفاجأ بأنهم يرفضون أداء الواجبات الصّفيّة العاديّة، مثل الإجابة عن أسئلة نهاية الفصل، أو القيـام بأشياء يفعلها الناس جميعًا بالطريقة ذاتها. وهم ميّالون إلى تحدّي الصعوبـات وتعلّم أشياء جديـدة، ولكنهم يفضّلون تطبيق إبداعاتهـم على مشروعاتهم. وعندمـا يُعاملون معاملـة أيّ إنسان آخر، فهذا بنظرهـم إهانة يشعرون إزاءهـا بالغضب والسخط. وعلى هذا، دعِ الطّفل المبدع يجرب ويطبق حلوله الخاصة به، وعندئذ سوف تجد أمامك طفلًا سعيدًا متحمسًا. ولكن إذا طلبت إلى هذا الطّفل الجلوس معتدلًا، والإجابة عن أسئلة ما، والقيام بما يقوم به الآخرون، فستجد أنك أوقعت نفسك في مشكلة كبيرة لم تكن في الحسبان.

أما فيمـا يتعلق بانفعالاتهم، فـإنّ الأطفال المبدعيـن كتاب مفتـوح؛ لأنّ عواطفهم تظهر على وجوههم؛ فإذا كانوا غاضبين من الطريقة التي يُعاملون بها، فستعرف ذلك مباشرة، وقد لا ينجحون فـي كتمان انفعالاتهـم أو التّحكّم فيها وهم فـي عمر مبكر، لذلـك ستجد أنهم يميلـون إلى الصّراخ والصّياح وإثارة الفوضى. وبسبب عنادهم، لن تُفلح في تغيير سلوكاتهم لمجرد تلبية رغبتك هذه.

إنّهم حساسون، وغير مستعدين للتّظاهر وإخفاء مشاعرهم، لذا تجد أنهم يظهرون غضبهم بسرعة، في الوقت نفسه الذي يعبرون فيه عن حبّهم بالسّرعة ذاتها؛ فالطّفلة المبدعة مثلًا، قد تحتضنك، وتقوم بسلوكات عدّة رائعة لدرجة تجعلك تتساءل عمّا قمتَ به لتستحقّ هذا كلّه من هذه الطّفلة، ولكنها بعد قليل قد ترخي يديها، وتتلفّظ بكلمات غاضبة، ثم تركض باكية إلى غرفتها، إنّ هؤلاء الأطفال فريدون في داخلهم! وعليك أن تتذكّر هذه الحقيقة طوال الوقت. إنّهم يفكّرون بطريقة فريدة ويتصرفون بطريقة فريدة كذلك، وهذه المشاعر أو الانفعالات هي تمامًا ما يجعلهم مبدعين. إنهم صادقون داخليًّا، ولذلك سوف ترى الدموع تنهمر من عيونهم عندما تُؤذى مشاعرهم، في حين سترى الفرح في عيونهم، وفي أيديهم، وفي قفزات أقدامهم، وفي ابتساماتهم العريضة، عندما يحسّون بالبهجة، وستقرأ على محياهم: أنا أحبّ الحياة.

الأطفال المبدعون غالبًا ما يوصفون أنهم غريبو الأطوار، فهم يحبون قراءة الخرائط، ويحلمون بزيارة أماكن بعيدة، وكذلك انتقاء مفردات يستخدمها الكبار من القاموس حتى قبل أن يدركوا معانيها. وهم بارعون في ابتكار أطعمة ذات نكهات جديدة؛ إذ يمكن أن يخلطوا مكونات متنوعة من الموز والخردل والشّمّام لصنع شطيرة، أو إضافة بهارات (الكاري) والثوم في طريقة لم تعتدها من قبل. وهم يحبّون رواية الحكايات بعد سماع قراءة قصة بصوت عالٍ، ويمكن أن يجمح بهم الخيال إذا ما طلبت إليهم إعداد حبكة معقدة وقصص غريبة رائعة، وكلّ ما تحتاج إليه مثل هذه القصص مجرد إضافة لمسات لتصبح من أفضل قصص الأطفال بَيْعًا.

الأطفال المبدعون يحبون الأوضاع والحالات والمواقف الجديدة، ولا يتردّدون في تجربتها إلا إذا تعلّموا التّريّث والتّردّد، وهم لا ينجذبون إلى مجموعة أقران محدّدة، لذلك تراهم منفتحين على المجموعات الفرعية في أحيائهم ومدارسهم، ولا يميزون بين الجنسين، وغير متحيّزين ولا متعصّبين، وهم كذلك يظهرون نضجًا فكريًّا في مرحلة المراهقة نظرًا لمعرفتهم بكثير الأفكار، واختلاطهم بكثير من الناس، وهذا هو الذي يُحصّنهم ضد التّعصّب، ونتيجة لذلك تجدهم منفتحين على الأفكار والأشخاص دون قيود.

لقد تعلموا من الحياة عدم وجود أيّ شيء في الإنسان يستدعي كرهنا له، والخوف منه، صحيح أنّهم ذوو عقول راجحة، ولكنهم ليسوا مذعورين! إنّهم يعرفون أنّ معظم الناس يخافون ما يجهلون، أما هم فقد توافرت لهم فرصة المعرفة نظرًا إلى شخصياتهم المنطلقة المحبة للاستطلاع. وهم

مستعدون وتوّاقون لاستكشاف كلّ شيء، فمنذ نعومة أظفارهم حتى مرحلة المراهقة هم عاشقون للحياة، وطامحون إلى التّعلّم دون خوف من الإخفاق.

في بعض الأحيان، قد يجرّب الأطفال المبدعون أشياء لا تقرّها، لكن هذا التّجريب ضروريّ كي يقتنعوا بعدم جدوى هذه الأشياء في حياتهم. أجل، من المحتمل أن يجرب الطّفل المبدع تدخين سيجارة، ولكن ليس من المحتمل أبدًا تجريب أن يكون عضوًا في عصابة. سوف تحاول الطّفلة المبدعة أو الطّفل المبدع أن يجرب شخصيًّا ما يُقال عن التّدخين، ولن يقتنع إلا إذا مرّ بالتجربة ذاتها، وعندما يجرّب التّدخين، ويجد أنّ طعمه كريه ومنفّر، أو أنه غير ملائم، أو خطر، وغير ذلك، فإنه سوف يقلع عنه. إنّهم يجربون ويتوصلون إلى أحكامهم عمّا هو صحيح وما هو خطأ لهم بناء على التوجيه والمعلومات التي توفرها لهم، ولكن الأهم هو أن يكون ذلك بناء على حاجاتهم هم لاكتشافه بأنفسهم. وهم، بين هذا وذاك، قد يمارسون سلوكات لا ترضاها، وقد يخيّبون ظنك فيهم أحيانًا، وقد يخيبون حتى أملهم في أنفسهم، ولكن يجب أن تُتاح لهم فرصة اكتشاف الحياة بأنفسهم، ولذلك فإنك لن تغيّر من الأمر شيئًا مهما كان حرصك على ذلك.

إنّ الأطفال المبدعين يتعلّمون من أخطائهم بسرعة كبيرة، وهم يعرفون العوائق التي تعترض إظهار ميلهم الإبداعيّ، ولن، - أكرّر لن - يدمنوا المخدرات، أو ينخرطوا في أعمال إجرامية بسيطة، أو الإساءة إلى سمعتهم؛ لأنهم سريعًا ما يدركون الخطأ الجسيم في إدمان المخدرات، أو الانقياد إلى شخص - لا تعنيه مصلحتهم - ليسيطر على إرادتهم. وفي هذه المعركة بين الخير والشر، سوف ينتصر اندفاعهم الإبداعيّ للبقاء والسعادة، وستؤتي أُكُلها الدروس الأخلاقية التي علّمتها لهم. ولكنك لن تستطيع منع شخص مبدع من معرفة سبب الضجة المثارة عن شيء ما، كالإدمان على المخدرات مثلًا؛ لذا دعه يكتشف ذلك بنفسه.

يحدّد الطّفل المبدع خياراته، ليس لأنه قد دُرّب على أقوال مثل: افعل الصواب. أو اللّه تعالى يرانا. أو درجاتك أهم منك. بل بناء على رغبته في تحسين ذاته، وتقديره للآخرين. ويهتم الأطفال المبدعون بالاختلافات الموجودة في هذا العالم أكثر من اهتمامهم بمهام تحديد الخطأ والصواب. وهم لا يخشون أن يكونوا مختلفين عن الآخرين، بل يفتخرون بأنهم متميّزون، ولا يعنيهم رأي الآخرين بهم. وعلى الرّغم من أنهم حسّاسون جدًّا، ويتألمون إذا تعرضوا للتأنيب أو الانتقاد، فإنهم يشعرون بكبرياء وأنفة في داخلهم؛ لكونهم على ما هم عليه وتميزهم عمن سواهم.

يبدو أن الأطفال المبدعين لا يعرفون حدودًا لما يمكن أن يثير اهتمامهم، فهم مستعدّون لتجربة أيّ رياضة كانت؛ فتراهم متشوقين لركوب الدّرّاجة الهوائيّة في أسرع وقت ممكن، وهم لا يترددون في الحديث مع أيّ إنسان يستمع إليهم، إنهم لا يأبهون بالموضة، أو الدرجات التجارية المعروفة. ويمكن أن تراهم مهندمين أو متسخين وفقًا لمزاجهم، ولكنهم لا يقلقون إن لم تكن قَصّة شعرهم حديثة، أو إن كانت ملابسهم لا تحمل اسم مصمم أزياء مشهور، وهم يشعرون بحبّ استطلاع تجاه الحياة. وغالبًا ما يطلبون إلى المعلمين والآباء أن يعيروهم الاهتمام والانتباه، وأن يزوّدوهم بإجابات وإيضاحات؛ فالمبدع لن يقبل تفسيرًا مثل: لأنني قلت هكذا، ربما يسكته مثل هذا الرّد، ولكنه لن يسكت غضبه من معاملته بهذه الطريقة الفوقيّة من أناس أكبر منه عمرًا وجسمًا، ولا يفوقونه في شيء آخر غير هذا.

يتعلّم الأطفال المبدعون من أجل اكتساب المعلومات، ومتعة حلّ المشكلات والمسائل، وليس من أجل الجوائز والمكافآت الخارجيّة؛ لأنّ حاجاتهم النّفسيّة أهم من ذلك بكثير. وإذا ما انهمك الطّفل المبدع في مسألة معيّنة، فلن يجعله أيّ شيء تقوله أو تفعله يتخلّى عنها حتى يصل إلى حلّ يرتضيه هو. ولأنّهم يتصرّفون تلبية لإرضاء حاجاتهم الدّاخليّة، فإنّهم لا يعيرون انتباههم لنجوم تُلصق على دفاترهم من قبل معلميهم. وفي الحقيقة، هم يعرفون مدى تقدمهم، حتى وهم في الصفوف الأولى، وغالبًا ما يرون لصق النجوم مهمة مطلوبة إلى المعلم أو المعلمة، وليس شيئًا مثيرًا لهم. ويمكن للطفل المبدع أن يتعلّم من الحارس، أو البوّاب، أو أمينة السّرّ (السكرتيرة)، أو عامل مطعم، بالقدر الذي يتعلّمه من المعلم، وغالبًا ما يكوّن صداقات معهم. وينهمك الطّفل المبدع في مشروعاته طوال الوقت، ومع أنه قد يراعي إيقاع منحى معلمه في التدريس، فإنه يستعين بالمصادر الخارجيّة، ويتقدّم بسرعته الخاصة دون أن يخبر أحدًا بذلك.

الطّفل المبدع يتمتع بروح الدّعابة، وينجح في إضحاك الآخرين، ولكنه لا يلجأ إلى التّهريج لإخفاء أي إحساس بالخوف في بعض الأحيان، وهو لا يستهزئ بغيره عندما يكون في مأمن بين رفاقه. وغالبًا ما يكون الطّفل المبدع الفرد الوحيد في المجموعة الذي يحمي ظهر الغائب، أو الذي يضع حدًّا لاغتياب الآخرين والسّخرية منهم. ومع أنّ الإخفاق لا يشلّ حركته، فإنّه عادة ما يُدهش الآخرين بتجاوز إخفاقه هذا، من خلال تدارك الخطأ بتصويبه، وعدم تكراره مرة أخرى.

ومن سمات الأطفال المبدعين كذلك مساعدة الحيوانات الضالة. وهم يرون فضائل في كلّ إنسان، لا البحث عن النقائص فيه. إنّهم يحبّون المنافسة، ولكنهم يؤكدون في ذلك تفوقهم وليس

هزيمة الآخرين. إنهم يحبّون مظهرهم الخارجيّ، ولا ينتقدون أنفسهم، ويحاولون تحسين هذا المظهر عندما يكبرون. زد على ذلك أنّهم لا يصنّفون أنفسهم استنادًا إلى طول القامة أو قِصرها، ولا إلى لون البشرة؛ بيضاء أو داكنة، ولا إلى معيار البدانة أو النّحافة. وهم يحبّون تحدّي تقدير الذات، مع قناعتهم بأنّ قيمتهم لا تُحَدَّد من خلال رأي الآخرين بها، وإنما من جودة تصرفاتهم وشخصياتهم هم. وقد ترى الأطفال المبدعين وهم يستمتعون باللهو والتّسلية منفردين، من خلال القراءة، أو الجري، أو محاولة تعلّم العزف على آلة موسيقية، مع أنهم اجتماعيون ميّالون إلى حسن المعاشرة والمخالطة. إنّهم يحبّون الحياة بكلّ ما فيها، وهم مستعدون لتجربة أيّ شيء وكلّ شيء، ولكن فقط إذا وفّرنا لهم فرصة الاندماج في مشروعاتهم. وقد يبدو الطّفل المبدع متمرّدًا في نظرك ونظر السلطات المعنيّة، ولكن بصرف النّظر عن رأيك فيه، فإنّ شعلة الإبداع ستظل مشتعلة في داخله، وسوف يظل مهتديًا بأنواره الدّاخليّة هذه دائمًا. إنّ الطّفل المبدع إنسان غامض؛ قد يسبب لك إزعاجات كثيرة، ولكنه سيجعلك فخورًا به.

لن يدهشني إذا فوجئت بأنّ أطفالك يقعون ضمن هذا الوصف للأطفال المبدعين، وكما قلت في بداية هذا الفصل، الأطفال جميعهم مبدعون، وإنّ الأمر عائد إليك باحتضان ميولهم الإبداعيّة الفطريّة وتشجيعها ورعايتها. وعندما تقرأ عن الطرائق التقليديّة التي نكبت بها إبداع أطفالنا، وتنتقي بعض الاستراتيجيات التي اقترحتها لك لمساعدتك على تنشئتهم ليكونوا مبدعين، تذكّر ما قاله الكاتب والروائي جورج نورمان دوغلاس (1868 ــ 1952) George Norman Douglas، وخاصة إذا كنت تريدهم أن يكونوا مبدعين إلى أقصى حدّ ممكن: «إذا رغبت في معرفة ما يمكن أن يفعله الأطفال، فعليك التّوقّف عن إعطاء الأشياء لهم»[1].

بعض الطّرائق التّقليديّة التي نُعيق فيها ـ دون قصد ـ ميول الأطفال الإبداعيّة الفطريّة

من المؤكد أنّنا لا نقصد عرقلة التّطوّر الإبداعيّ عند أطفالنا، ولكننا ــ يا للأسف ــ نقوم بذلك من خلال بعض الطرائق التي نتعامل بها معهم، وفيما يأتي بعض أساليب التعامل الأكثر شيوعًا التي تُعرقل الإبداع:

(1) ربما كان يعني بالأشياء الألعاب والدمى والأشياء المادية؛ لأن الطّفل إذا لم يجد هذه الأشياء المصنعة الجاهزة فإنه سوف يخترع ويجد طريقة للاستفادة من الأشياء المتوافرة له مثل العيدان، والحجارة وأدوات المطبخ وغيرها. (المترجم)

- التّشجيع على الاعتماد عليك، وعدم السّماح له بتطبيق حلوله الفريدة على المشكلات.
- تربية الأطفال على أن يكونوا كغيرهم من الأطفال الآخرين؛ أي أن يكونوا إمعة ومجرّد «أعضاء ضمن القطيع»، وأن يتحاشوا كونهم مختلفين عن أقرانهم، وتشجيعهم على التّفكير بطرائق تقليدية معهودة، ومقارنتهم بكل إنسانٍ أو أيّ إنسان آخر عندما يتصرفون بسلوك غير مرغوب فيه.
- إطفاء سلوك طرح الأسئلة لديهم من خلال تجاهل إلحاحهم المتواصل لمعرفة السبب، أو الاستهانة بتساؤلاتهم بإظهار عدم اكتراثك بهذه الأسئلة.
- تعليمهم توخّي الحذر وعدم الإقدام على أيّ مخاطرة.
- عدم تخصيص وقت للتواصل معهم يوميًّا، كالقراءة لهم، ومناقشتهم والإجابة عن تساؤلاتهم.
- تعليمهم الالتزام بالسّطر؛ أي مراعاة القوانين عندما يرسمون، أو يروون قصة ما، أو يلعبون لعبة، أو يفعلون أيّ شيء.
- معاقبتهم على قول الصّدق.
- غرس الاعتقاد لديهم بأنهم عاديون كالآخرين، وأنهم لا يتمتّعون بأيّ قدرات أو عبقرية وجعلهم يعتقدون بأنهم غير موهوبين.
- تثبيط الاستكشاف الإبداعيّ من خلال انتقاد جهودهم الإبداعيّة.
- ألّا تكون لهم المثال لشخص يتابع هواياته واهتماماته الإبداعيّة بحماس واندفاع.
- عدم الثّقة بآرائهم لأنك ما تزال تعتقد أنهم أصغر من أن يكون لهم وجهات نظر سليمة.
- المراقبة الدّائمة لتصرّفاتهم، والتّدخل في لعبهم من خلال فرض تعليمات وقوانين، وإبداء نصائح.
- التحدث إليهم بطريقة متعالية وإشعارهم بالدّونيّة.

obeikandl.com

- تزويدهـم بعدد كبير من اللعـب، والأدوات، ومشاهدة التلفاز طويـلًا، وأشياء أخرى كثيرة لإبقائهم مشغولين ليس إلّا.
- تحمّـل مسؤوليـة التّأكّد من أنهـم لا يشعـرون بالملل من خـلال ابتكار أنشطـة لتسليتهم وإلهائهم.
- عدم إعطائهم فرصة الاختلاء بأنفسهم عندما يرغبون في ذلك.
- اتخـاذ موقف دائم بأنّ الأطفال مخطئـون والبالغين مصيبون في أيّ نـزاع قائم، أو اتخاذ موقـف معارض لمواقفهم على نحو دائـم، وعدم السّماح لهم باتخـاذ قراراتهم بأنفسهم، ووضع حلول نيابة عنهم.
- إبقاؤهم داخل البيت، وتحت المراقبة الدائمة.
- إجبارهم علـى الالتحاق بفرق رياضيّة في عمر مبكر، والاستمتـاع بفكرة أنهم يتعلمون من أجل منافسة الآخرين.
- إجبارهم على الطّاعة دائمًا لإرضائك، بـدل أن يطوّروا قواعد سلوك خاصة بهم، يلتزمون بها طوال حياتهم.
- تعليمهم العزوف عن اكتشاف الحياة لأنها سوف تلوثهم أو توقعهم في مشكلات ما.
- عدم إطراء اختراعاتهم الغريبة، أو حلولهم الفريدة.
- الانبهار بالتّعزيز الذي يحصلون عليه وليس للأنشطة بحدّ ذاتها: مرحى! لقد حصلت على نجمة. أو عظيم! لقد فزت بالكأس. أو رائع! لقد حصلت على أعلى درجة في صفك.
- إلصـاق أوصاف بهم، مثـل: أنت كبير، كن صلبًـا، هذا عيب! الرجال لا يبكـون! الفتيات لا يفعلن ما قمت به.

مكاسب حرمان الأطفال تطوير إبداعاتهم

تذكـر أنك تحقق بعض المكاسب النّفسيّة من كل شـيء تقوم به في علاقتك مع أطفالك. حاول أن تنعـم النظر في التفسيرات أدناه لترى هل ينطبق بعضها عليك. وبعد أن تدرك ما الذي تكسبه من

إعاقة الإبداع عند أطفالك، فلربما تصبح أكثر ميلًا إلى استخدام بعض الإستراتيجيات لمساعدتهم على أن يكونوا أكثر إبداعًا طوال مراحل نموهم. ويتعيّن عليك أولًا أن تفهم سبب تصرفك تجاه أطفالك، قبل أن تتمكن من استثمار الكيفية التي تحدث بها تغييرًا إيجابيًا. ومثلما يظل أطفالك يسألون (لماذا؟) ويحاولون فهم كيفية القيام بالأشياء، عليك أيضًا أن تطرح السؤال الكبير: لماذا؟

وفيما يأتي بعض المكاسب التي قد تجد الإجابات فيها:

- **قد تجد أنّ من السّهل كثيرًا تربية أطفالك بهذه الطريقة من أجل تقليص طموحاتهم الإبداعيّة.** وبلا شكّ، يصعب السّيطرة على الطّفل الذي يفعل الأشياء بطرائق فريدة، وربما تكون هذه السّيطرة هي ما تسعى إليه في تعاملك مع أطفالك. فإذا ما سمحت لهم أن يفكروا بحرّيّة ويتخذوا قراراتهم بأنفسهم، فسوف يبدؤون بتحدي بعض معتقداتك الراسخة، لذلك فإن جعلهم يطيعونك كما تأمرهم أسهل بكثير من التعامل مع كلّ واحد منهم على أنّه فرد مستقل ومتميّز.

- **يمكن أن يكون طرحُ الأسئلة طوال الوقت أمرًا مزعجًا، وخاصة عندما يكرّر أطفالك ذوو السنوات الثلاث أو الأربع (لماذا؟) عن كلّ شيء يرونه،** ويمكن أن تريح نفسك عندما تطلب إليهم التّوقّف عن طرح أسئلة كثيرة، ولن تضطر إلى الاعتراف بأنك لا تعرف الإجابات عن معظم أسئلتهم.

- **ربما تعتقد أنّ تربية أطفال مبدعين مرهق لك جسديًا:** الأطفال المبدعون مفعمون بالنشاط والطاقة، وهم يحبّون معرفة كلّ شيء وتجريب كلّ شيء أيضًا، وقد تجد أن السّماح لهم بمتابعة هواياتهم واهتماماتهم أمر مرهق لك، لأنه لا يبدو لك أنهم يتعبون أبدًا؛ لذلك فبدلًا من السّماح لهم بمتابعة اهتماماتهم من دونك، فربما يكون من الأفضل لك منعهم المرح حولك، وهذا ينقذك من استجماع قوتك التي لا يبدو أنك تمتلكها، يسكّنهم مؤقتًا. وبدلًا من تغيير نفسك إذا كنت لا تستطيع مجاراتهم، فإنّك تجبرهم على أن يهدؤوا ويوقفوا حبّ استطلاعهم. وقد توهم نفسك بأنك لا تجد الوقت الكافي لتنشئتهم على منحى الإبداع.

- **ربما تقول لنفسك: «لا أريد لأطفالي أن يكونوا غريبي الأطوار».** إنّ بإمكانهم أن يعيشوا مثلما عشت وعاش كثيرون غيري في هذا الحيّ. ربما يكون هذا الذي يسمونه الإبداع مفيدًا

لذوي المواهب الموسيقيّة، ولكن ابني مضطر إلى العمل في مصنع ما، ولا حاجة إلى إشغال نفسه بهـذا الغباء. بإمكانه تأجيل هذه الميول الإبداعيّـة، وتعلّم كيفية اكتساب لقمة عيشه كما يفعل الآخرون في هذا العالم. إنّ مثل هـذا الاتجاه يجعل من السهل عليك منع أطفالك أن يكونـوا مختلفيـن ومتميزين فيما يفعلون، وسـوف يكون الأمر على ما يـرام بنظرك إذا مـا تكيّفوا وفعلـوا مثلما يفعل الآخرون، وهذا هـو المنطق القائل: مـا يناسبني ويناسب كلّ شخص آخر يناسب أطفالي أيضًا.

- **ربمـا تكون قـد أقنعت نفسـك بأنّ تربيـة أطفالك علـى منحى الإبـداع يعنـي الفوضويّة والتّسبّـب في مشكلات عدّة إن لم يُضبطوا ليتلاءموا مـع من حولهم:** إنّ مثل هذا النوع مـن المنطق قد ينجح معك في كبـح الإبداع لديهم، ولكنه يتناقض مـع حقيقة أنّ أيّ إنسان ينجـح في إحداث أمر جديد في العالم أو يسهم في تحسينـه، هو إنسان لا يفكر أو يتصرف كأيّ إنسان آخر. ولكنـك قد تقول: لا أريد من ابني أن يغير العالم، وكلّ ما أريده هو أن يتعلم كيـف يتدبّر أمـوره، وألّا يتحول إلـى شخص مجنون مثـل الذين يسمّـون أنفسهم مبدعين جميعهـم. ولا شـكّ في أنّ مثل هـذا المنطق سوف يعطيـك التبرير الذي تحتـاج إليه لقمع الإبداع.

- **ربمـا تـودّ المحافظـة علـى اتكاليـة أطفالـك عليـك، وهـذا يرضـي غـرورك بحاجتهـم إليـك، إضافة إلى أنـه محفّز قويّ لإبعادهم عـن القيام بأشياء علـى عاتقهم وبطرائقهم الفريدة**، وكلمـا ازدادت حاجاتهـم إليك للتفكيـر نيابة عنهم، وللحصـول على إذن منك، وإنجـاز أعمال لهم، زاد شعـورك بأهميتك وإحساسك بأنك تقوم بعمـل جيد، وربما تعتقد أيضًا أنك لو سمحت لهم بممارسة إبداعهم الفطريّ بحريّة، فمن المحتمل جدًّا أنهم سوف يتعرضون لمشكلات لا حصر لها، ومن شأن هذا التبرير أن يجعلك تبقيهم معتمدين عليك لأطول مدة ممكنة.

- **منـع الأطفـال من تنميـة إبداعهم منـذ الصّغر أقـلّ خطورة لك:** فإذا كنـت تعرف ماذا يفعلون، وراقبتهم عن قرب، فسوف تبعدهـم عن المشكلات المختلفة، لن تقلق كثيرًا لأنك تعـرف أين هم وماذا يفعلون، وسوف تشعر بطمأنينة لأنهم فـي مأمن، وكلما ترعرعوا على الطّاعة، كانـت مهمة تربيتهم أسهـل، وهذا ما تسعى إليـه؛ أن تجعل هـذه المهمة الكبيرة سهلة إلى أقصى درجة ممكنة.

لقد كانت هذه بعض المكاسب التي تطمح إليها لإبقاء إبداع طفلك عند حدّه الأدنى، ومع ذلك؛ إذا كنت تريد لأطفالك أن يحقّقوا مستوى عاليًا من الإبداع، والوصول إلى أقصى ما يستطيعون الوصول إليه، وأن يعيشوا حياة ناجحة وسعيدة، فعليك الاطّلاع على بعض الاستراتيجيات والأساليب المحددة التي قد تستخدمها في علاقاتك مع أطفالك مهما كانت أعمارهم حاليًّا.

بعض الإستراتيجيّات النّموذجيّة لتربية الأطفال على نظام إبداعيّ منتظم

تذكّر وأنت تقرأ هذه الإستراتيجيات أنّي لا أتحدث عن إشراف مفرط في التّساهل، تسمح فيه للأطفال بالعربدة وسوء الخلق، من خلال ما يدخل عقولهم من أفكار دون ضابط. إنّ الطّفل المبدع ليس مدللاً ولا مهملاً، وفي الواقع إنّ الإبداع يعني تعليم الأطفال نوعًا من ضبط الذّات حتى لا يكونوا مهذبين من أجل إرضائك، بل لأنّ هذه هي أفضل طريقة لإدارة أنفسهم في مسيرة الحياة. وكلما ساعدت الأطفال أكثر على تحقيق حياة إبداعيّة، جعلتهم أكثر قدرة على التعامل مع أي قضية تعترض سبيلهم. والإبداع لا يعني التّهوّر وانعدام المسؤولية، بل يعني تطبيق أفكار شخصيّة تتّسم بالحداثة على أيّ مشكلة أو نشاط حياتيّ دون الاكتراث بما قد يفكر فيه الآخرون.

هناك اعتقاد غير صحيح لدى معظم الناس في أنّهم يتّخذون جمع المال معيارًا للنجاح، وهذا منطق غير سليم؛ لأنّ ما يحدث على أرض الواقع عكس ذلك تمامًا. إنّ الأشخاص الناجحين هم الذين يجمعون الأموال، ويعرفون كيف يكسبون لقمة عيشهم في أيّ وقت مهما كانت ظروفهم الاقتصادية أو أيّ ظروف أخرى، والأشخاص الناجحون يُضفون مواقفهم واتجاهاتهم الناجحة وشخصياتهم الفريدة على أيّ مشروع في الحياة، وإذا ما جرّدتهم من أموالهم، وبعثت بهم إلى مدينة أخرى، أو حتى إلى بلد أجنبي، فسوف تجدهم على الجانب الإيجابي من معادلة جمع الثروة.

ولا شكّ في أنّ الأشخاص الناجحين دون استثناء مبدعون، وكلما تعلّم الطّفل الاعتماد أكثر على نفسه، استطاع أن يعكس إبداعه على عمله. ولا تفكّر في أيّ لحظة من اللحظات أن على الإنسان خوض معترك الحياة من أجل جمع أموال طائلة، بل العكس هو الصحيح؛ إذ يجب أن يكون ناجحًا في داخله أولًا، ومن ثَمَّ تأتي الأمور تلقائيًّا مهما كانت المشروعات التي يعمل عليها. لذا جرّب بعض هذه المقترحات إن أردت رؤية الإبداع يتفتّح في نفوس أطفالك.

- **في كلّ يوم، حاول أن ترفع من مستوى صبرك مع أطفالك من أجل أن يتعلموا من منظورهم الخاص، بدلاً من الاعتماد عليك في التفكير والعمل نيابة عنهم:** إنّ الإبداع

يعني أساسًا تفكير الطّفل بطريقته الفريدة، وأنا أقترح أن تعدّ إلى العشرة بصمت قبل أن تتدخل في أيّ شيء يعمله طفلك، ولا تنس أنّ الأطفال يحتاجون إلى إنجاز الأشياء بطريقتهم الخاصّة؛ فإذا رأيت طفل السنتين يركّب المكعبات بطريقة غير صحيحة، فاصبر بصمت، ولا تصححه، وانظر كيف سيهتدي إلى حلّ، حتى إن احتاج إلى دقائق عدة، فهو على الأقل قد حصل على فرصة للقيام بذلك وحده. وعندما يحاول طفل السنوات الأربع ركوب دراجته الهوائية من الخلف لا من الجانب، فلا تحاول إرشاده إلى الطريقة الصحيحة إلا بعد أن يجرّب المحاولات كلّها، فربما اهتدى إلى طريقة فريدة تناسبه أكثر من الطريقة المتعارف عليها. وعند محاولة طفلة تبلغ من العمر عشر سنوات ربط شريط حول علبة هدية، ثم يبدو لك أنه ليس على استقامة، فتريّث قليلًا، ولا تتدخّل، ودعها تبتكر طريقة للتصميم، وامتدحها على جهودها. وحين يحاول الشاب ذو الأربعة عشر عامًا أن يكتب موضوعًا إنشائيًّا للمرة الأولى، فلا تساعده على اختيار الكلمات والعبارات المناسبة، بل شجعه على الكتابة بطريقته الخاصة. وعندما ينشد ابنك أو ابنتك من عمر سبعة عشر عامًا أو يغنيان بطريقة غير متناغمة، بصوت نشاز، فلا تنتقدهما أو تصححهما، وتذكر أنّ الإنشاد أو الغناء أفضل من الصمت خوفًا من أن يكون الصوت نشازًا وغير متناغم. لا تنجز الأعمال نيابة عن أطفالك، وتدخل فقط عندما يخفقون في الحلّ ويشعرون بالإحباط، أو عندما يطلبون مساعدتك، واسألهم عندما يطلبون مساعدتك: ماذا تعتقد؟ ما رأيك؟ كيف يمكن فعل ذلك؟ وعندما تقول لهم ذلك، فإنّك تشعرهم بأنّك تقدّر آراءهم وحلولهم، وأنّ لهم الخيار لفعل الأشياء بطريقتهم حتى وإن كانت مختلفة عن طريقتك.

- **علّم أطفالك أن يكونوا متميزين، لا مخالفين لمجرد المخالفة والمعارضة:** إنّ كلّ إنسان يحاول أن يكون مختلفًا عن الآخرين يظل مقيدًا بما يفعلونه، أما المبدع الحقيقي فإنّه يعتمد على الطرائق الأكثر فاعلية له دون الاكتراث بما يفعله الآخرون أو يعتقدونه. وهذه بعض الأمثلة المتعارضة حول طرائق تشجيع الإبداع وتشجيع التّطابق:

تشجيع التّطابق	تشجيع الإبداع
لِمَ لا تكن كالآخرين، وتسلّم واجبك في موعده؟	أنت في الواقع تضرّ نفسك لأنك تتأخر دائمًا في تسليم واجبك في موعده، وأنت وحدك من يتحمل العواقب.

شقيقتك لا تزعجني، لِمَ لا تكون مثلها؟	إنّك تميل إلى الجدال، وما يحيرني هو ما الذي تجنيه من وراء إثارة ذلك؟ هل يمكن أن تفكر في طريقة تجعلنا نعيش في انسجام دون شجار؟
لو نظرت إلى من حولك، فسوف تجد أنك جزء من أغلبية.	أفهم أنك لا تريد أن تكون نسخة عن الآخرين، وأنك تحب إنجاز المهام بطريقتك الخاصة، ولكن هل طريقتك هذه مفيدة لك؟
لا أحد يشكو سواك.	ما الذي لا يعجبك؟
هكذا جرت العادة أن نفعل ذلك في عائلتنا.	ربما لديك طريقة أفضل لفعل ذلك، قل لي فكرتك لنجرّبها معًا.
هلّا تنجز المهام بالطريقة نفسها التي يقوم بها الآخرون؟	أقدّر طريقتك بالتّشبّث بوجهة نظرك.

حاول التّخلّص من التّوجيهات التي تشجّع الطّفل على التّصرّف كما يتصرف الآخرون؛ فهناك طرائق كثيرة لجعل الأطفال يعيدون النظر في تصرفاتهم لمعرفة هل كانت لمصلحتهم أو لا، بدلًا من التّوسّل إليهم ليكونوا أفرادًا في مجموعات، ويفعلوا كما يفعل غيرهم. وتذكر: ما الذي يمكن أن يقدّموه إذا كانوا سيتصرفون مثلما يتصرف الآخرون تمامًا؟

- **اتخذ موقفًا مناسبًا بخصوص إصرارهم على طرح الأسئلة وهم صغار، وكن صبورًا في الإجابة عنها لتشعرهم باهتمامك الصّادق نحوها**، وتذكر أنّ السؤال (لماذا؟) لا يتطلب جوابًا تفصيليًّا؛ فمثل هذا السؤال هو لجذب انتباهك إليهم، وشعورهم باهتمامك من خلال ردّك ليس إلّا. وتذكّر القصة القديمة عن الطّفل الذي سأل أمّه من أين جاء؟ فأخذت تسرد عليه عملية الإنجاب بالتفصيل، وكانت قلقة خشية ألّا تكون قد أعطته الجواب الصحيح، وكانت المفاجأة لها عندما قال لها: أنا أعرف هذه الأشياء كلّها، ولكن المشكلة أنّ صديقي قال لي أنه جاء من مدينة كليفلاند، وأنا أتساءل: من أين جئت أنا؟ إنّ الأطفال ليسوا بحاجة إلى إيضاحات تفصيلية بقدر حاجاتهم إلى معرفة أنّ طرح الأسئلة شيء مثير، ويجب عدم قمعه. وقد كنت أردّ عليهم بعد سؤالهم لماذا؟ أربع أو خمس مرات: لماذا برأيك؟ أنا متأكد أنك تعرف الجواب الآن. إنّ من شأن هذا التعامل الطبيعيّ السّلس

obeikandi.com

تشجيعهم على حبّ الاستطلاع، ولكن إذا تجاهلت استفساراتهم وهم في الصّغر فإنهم سيحجمون عن طرح الأسئلة، وهذا ما يقمع العمليّة الإبداعية في مهدها.

- **تذكّر أن الإبداع والمخاطرة يسيران معًا**، وكما سبق أن قلت في هذا الكتاب، يجب أن تكون طريقتنا في التعامل مع المجازفة عقلانيّة دائمًا، يجب اتخاذ كلّ ما يضمن سلامة الطّفل وحمايته من الأذى، ولكن يجب ألّا نربّي الأطفال ليكونوا دائمًا على الجانب الآمن في كلّ شيء يقومون به. ولا شكّ في أنّ المخاطرة المعقولة تعدّ من مكونات الإبداع. أمّا الشّخص الذي لا يستطيع المخاطرة أو غير مستعدّ لها، فلن يكتسب منحى إبداعيًّا في مسيرة حياته. إنّ الأمان يعني أن نفعل ما يفعله كلّ إنسان آخر، أما الإقدام على المخاطرة فيعني تحدي الأوضاع القائمة عندما يكون من المناسب القيام بذلك، ويعني أيضًا الإقدام على المخاطرة تجربة شيء جديد، وأن يكون الإنسان مبتكرًا، وتجريبيًّا، ومتحديًّا للتقاليد القائمة، والغوص في عالم المجهول بين حين وآخر. ويمكن للطّالب الصّغير أن يتعلم تأدية واجبه البيتيّ كما يفعل الآخرون من أقرانه، في حين أنّك تستطيع تشجيعه ليتحدث إلى المعلم عن تجربة طريقة جديدة لإكمال مشروع العلوم مثلًا. ويمكن للمراهق أن يتكيّف ويلتزم بالقوانين المألوفة كلها، حتى وإن كان لا معنى لها، أو أنه سيحاول مقاومتها ومن ثَمَّ تغييرها.

عندما كنت في قاعدة غوام البحريّة، قيل لي إنّ على الجنديّ عدم تحدّي السياسة العسكريّة المرعية أبدًا، ولكني وجدت أنّ من غير المعقول قبول التمييز الممارس على المواطنين من جزيرة غوام في المحيط الهادي الذين كانوا يعملون مع الحكومة الأمريكية. لقد كان يُسمح للمواطنين الأمريكيين القادمين من داخل الولايات المتحدة بالتّسوّق في الأسواق العسكرية، في حين لم يكن يُسمح بذلك للمواطنين الغواميين داكني البشرة، مع أنهم مواطنون أمريكيون، فشاركت في مسابقة لكتابة الرسائل، ونشرت رأيي في هذه القضيّة، وفي نهاية المطاف، وبعد أن تلقيت تهديدات بمحاكمتي عسكريًّا، تغيّرت هذه السّياسة وتوقّف التّمييز. ولو لم أتلقَّ التّشجيع من والدتي بالدفاع عن رأيي، وانتقاد ما أراه ظلمًا، فلربما ظلت تلك السياسة مطبقة حتى الآن.

ويجب أن يعرف الطّفل مبكرًا أنه سوف يواجه بعض الانتكاسات والصعوبات نتيجة طرح رأيه والدفاع عنه، وأنّ الأمر سوف ينطوي دائمًا على بعض الأخطار، ومع ذلك يجب تشجيع الأطفال وتعزيز هذا السلوك بدلاً من أن نطلب إليهم الاسترخاء في أمان الأغلبية السالبة. وسوف يظهر

الأطفال علامات على رغبتهم لتجربة أشياء جديدة، وللتفكير بطرائقهم الخاصة، وتحدي القوانين التافهة، أو لاقتراح طرائق جديدة لإنجاز الأعمال. وبصرف النّظر عن أعمارهم، حاول أن تشجعهم وتمتدحهم لأنهم مغامرون، وساعدهم كذلك على معرفة عواقب تصرفاتهم.

وخلاصة القـول؛ إذا كنت تريد لأطفالك أن يكونوا مبدعين، فلا تحـاول أن تجعلهم انقياديين وأفرادًا في قطيع، ومغرّدين على أنغام غيرهم.

- **خصّص مزيدًا مـن الوقـت كلّ يوم للجلوس مع أطفالـك والاستمـاع إليهـم:** وإذا كان لديـك أكثر من طفـل، فامنح كلّ واحـد منهم دقائق عـدة، وإذا كانوا صغارًا جـدًّا، فأرهم كتابًـا مصوّرًا، وقلّب صفحاته لدقائق قليلة كلّ يوم، وتحـدّث إليهم عن الأشياء التي يرونها في الكتـاب. إنّ الأطفال المبدعين، بـلا استثناء، يحبّون الكتب، لذا فـإنّ تعريفهم بالكتب يساعد على تطوير إبداعهم مبكرًا. أما الأطفال الأكبر سنًّا، فيمكن أن تمسكهم من أيديهم، وتتمشـى معهم، وتتحدث إليهـم، وعندما يحين موعـد النوم، اجلس معهـم لدقائق قليلة، وتحدّث إليهم عمـا حدث معهم في ذلك اليـوم، وعن برامجهم في اليـوم القادم، وتحدّث معهم عن هواياتهم، واهتماماتهم، وعواطفهم، ومخاوفهـم، وقلقهم. ويمكن أن نبدأ بهذه الأسئلة القليلة بطريقة غير فضوليـة، ولا فوقيّة بحيث تشعرهم باهتمامك بهم وبأنك تولي أهمية وقيمة لأفكارهم المتميّزة الفريدة الإبداعيّة: ماذا تفعل في المدرسة طوال اليوم؟ ما شعورك عند تغيير الصفوف في منتصف النهار؟ ماذا تشعر عندما تركب الحافلة أو تمشي لتصل إلـى المدرسة؟ مَن الأشخاص المفضلون لديك في المدرسة؟ لِـمَ تحبهم إلى هذا الحدّ؟ أشعرتَ بالخوف عندمـا استدعاك المدير؟ ما رأيك في تعلّم عملية القسمة مبكرًا؟ هل هي صعبة عليك؟ أتعتقـد أنّ أداءك جيد في المدرسة؟ هل تحبين اللّعب مع ليلى اليوم؟ لمـاذا تحبين لعبة الخروف أكثر من أيّ لعبة أخرى؟ هـل ستتأرجحين غدًا مثلما فعلت هذا اليوم؟ ما الذي تحبّ فعله أكثر من أيّ شـيء آخر؟ تبدو منزعجًا اليوم، هل كلّ شيء على ما يرام؟ أَقَلِقٌ لأنّ جدتك في المستشفى؟

تتلخّـص الفكرة هنا في أن تكون معهـم، وأن تصبح متعلمًا في حياتهـم. دعهم يشاركونك في حياتهـم الفريدة هذه، ويعبّـرون عن آرائهم، وأظهر لهـم اهتمامك بهم. إنّ أسلـوب أن تكون متعلّمًا يجرّدك مـن دور الشّخصيّـة المتسلّطة الخبيـرة في إسـداء النصائح، ويمنحه لهـم. وكلما شعروا

بأهميتهم على أنهم بشر، وأنّهم متميزون في داخلهم، زاد احتمال أن يعززوا شخصياتهم المتميّزة التي يثقون بها بإنجازاتهم الحياتيّة.

- **اسمح للأطفال أن يحققوا ذواتهم في أكثر جوانب حياتهم:** لا تشدّد عليهم وهم صغار جدًّا أن يراعوا الدّقّة في رسم الخطوط وهم يلوّنون. اسمح لهم أن يخربشوا ويكونوا رسّامين كما يحلو لهم؛ فالإبداع لا يعني التّرتيب، والهندام، واستجداء استحسان الآخرين؛ إنّه يعني أنهم في البداية يخربشون، ولكنهم بعد ذلك سيتقنون مهارة استخدام الألوان وتشكيلها، لذا لا يمكن الحكم عليهم بناء على محاولاتهم الفنية الأولى. إنّ المهم هو تهيئة الفرصة للتعبير عن أنفسهم بأي صورة يريدونها، أما عملية التقويم والنقد الحقيقيّ (التي هي ليست أكثر من مجرد مقارنة عملهم بأداء أقرانهم، أو بالمعايير التي وضعها آخرون) فتؤدي إلى كبت الإبداع وعرقلته. ويجب أن نتذكر أنّ الإبداع يعني السّماح للأطفال بالابتكار من منظورهم الخاص، وأن يكونوا أحرارًا في استخدام طرائقهم الخاصة في أعمالهم الإبداعيّة. ولا تعدّ المحاولات الأولى مؤشرًا على موهبة فنيّة مستقبليّة، أو دليلًا على أنهم سوف يحترفون الرسم في مرحلة لاحقة من حياتهم أم لا. وإذا ما شعر الطّفل بأنه مقيّد، أو مصنّف، فسوف تتوقف محاولاته من أجل إرضاء أبويه، وإنجاز الأعمال بطريقتهما للحصول على رضاهما.

الأفراد المبدعون لا يستقرون أبدًا ضمن خطوط الحياة. ولأنهم يفعلون الأشياء بطرائقهم الخاصة فإنهم يبتكرون، لذلك فإنهم يتجاوزون الحدود التي تقيد حرية الإنسان العادي، ويرسمون لأنفسهم الصورة الإبداعيّة كما يتخيلونها. ويجب أن يعرف الأطفال في عمر مبكر أنّك من خلال الثناء والمديح الذي تمطرهم به، لا تستحسن ما يقومون به فحسب، بل هو رائع ومثير بذاته، وهذا ما ينطبق على أنشطتهم جميعها. وعليه؛ لا تقيدهم بقوانين وهم يلعبون، بل اسمح لهم بتحديد قوانينهم الخاصة، والتّوصّل بأنفسهم إلى اتفاقات مع أصدقائهم وأشقائهم، وشجعهم على التعبير عن أفكارهم كتابة، وألّا يكتبوا بالطريقة التقليدية التي عفا عليها الزمن. وربما يعانون نتيجة لذلك بعض المتاعب، ومن ذلك عدم تقبّل الآخرين لأسلوبهم، أو انخفاض معدل درجاتهم، ولكن الكاتب الذي يستطيع أن يكون مبدعًا بكلماته، والذي يضفي حياة على عباراته بطريقة لم يسبق إليها أحد من قبل، هو الذي سيحدث الفرق والتغير في نهاية المطاف. وبالتأكيد يتعين عليهم الالتزام بالقوانين

في اللعب، والكتابة، والرسم، والعمل، وكلّ شيء آخر في الحياة، ولكن عليهم ألا يعتقدوا أبدًا أن تلك القوانين هي التي ستملي عليهم ما يفعلون أو ما يمكن أن يصلوا إليه.

لا يقبل الفرد المبدع أن تقيده القوانين التي تُطبّق على الآخرين، وهذا ما يجعله شخصًا استثنائيًّا، وكلما سمحت للأطفال بتحدّي القوانين وتجربة طرائق جديدة وأساليب خاصة بهم، عزّزت لديهم تلك الرّوح الإبداعيّة التي أكتب عنها في هذا الفصل.

لا شكّ في أن بعض العقبات سوف تعترض من اختاروا طريقهم بأنفسهم، ولكن كلما زدنا من الثناء على هذا الاختيار وتشجيعه منذ اللحظات الأولى، علّمناهم عدم الاكتراث برفض الآخرين، وألا يجعلوا وجهات نظر هؤلاء تعيق حركتهم. عندئذٍ، سيتعلّمون الثّقة بأنفسهم، وأن يكونوا فاعلين في هذه الحياة لا ناقدين، هناك آلاف التماثيل التي تخلّد المبدعين في التخصصات والمجالات جميعها، ولكن لم أر حتى الآن تمثالًا يخلّد ناقدًا واحدًا.

- **يجب أن يتربى الأطفال على أصوات قدراتهم وهي ترنّ في عقولهم:** إنّ العائق الحقيقيّ الوحيد أمام انطلاق الأطفال المبدعين يكمن داخل أنفسهم، وهم يحتاجون إلى ثقة كبيرة في قدراتهم من أجل تحقيق أيّ هدف يختارونه. والطريقة الوحيدة لمساعدتهم على عدم الخوف من قدراتهم وقوّتهم هي أن نمنحهم مزيدًا من التعزيز لتعظيم إمكاناتهم، ولكن عليهم الإيمان بعبقريتهم، في حين عليك مساعدتهم على رؤية هذه القدرة الكامنة في داخلهم. وهذه أمثلة عدة ليتعامل الوالدان مع أطفالهم وتشجيعهم على تجربة هذه القدرة أو الخوف منها:

الخوف من قدرتهم	الإيمان بقدرتهم
أنت لم تبذل الجهد الكافي الذي يخوّلك القبول في كلية التمريض، فأقترح أن تبحث عن شيء آخر.	إنّك قادر على تحقيق ما تصبو إليه لو صمّمت على ذلك، أعرف أنّ الموضوع صعب، ولكنك أهلٌ لذلك إن أردت.

openkandl.com

إنّ درجات اختبار الاستعداد المدرسي متدنية، ولا تؤهلك للالتحاق بالجامعة.	درجات اختبار الاستعداد المدرسي لا تعني لي شيئًا؛ لأنني على يقين من قدرتك على التّفوّق في أيّ موضوع. قدّم الاختبار لأكثر من مرة إذا احتجت إلى ذلك، وأنا أعرف أنك سوف تحقق ما تريد.
أنت صغير على المشاركة في سباق 10كم. أعد المحاولة عندما تكون أكبر قليلًا.	إذا كنت تعتقد أنك تستطيع أن تشارك في سباق 10كم، وأنك مستعد للتدرب، فما عليك إلا أن تحاول. لن أفاجأ بما يمكن أن تفعله إذا ما صممت فعلًا عليه.
أشكّ في قدرتك على اكتشاف علاج لمرض السرطان.	إذا كان هناك من سيكتشف دواء للسرطان، فأنا متأكد أنك ستكون ذلك الشخص، فأنت في الحقيقة ذكي ومثابر، وأنا أثق بك ثقة لا حدود لها.
شخصيتك لا تؤهلك لتكون صحفيًّا، ولكن يمكنك أن تعمل في مجال الإعلان.	إن إنسانًا بمثل شخصيتك وثقافتك يمكن أن يكون صحفيًّا ناجحًا، فلا تتوقّف عن المحاولة إن كانت هذه رغبتك.
التمثيل مهنة صعبة جدًّا، ولن تحصل على دور لأنّ هناك مئات الممثلين العاطلين عن العمل.	إذا كنت تحب التمثيل فعليك أن تخوض هذه التجربة، وأعتقد أنك سوف تنجح في ذلك.

- **إذا خُيّرت بين المدح والانتقاد، فاختر المدح ومارسه كثيرًا:** ربما تكون قد توصلت من خلال حديثي عن قيمة المديح في هذا الكتاب إلى إدراك أهمية علاقته بالإبداع، فكلما أثنيت على أطفالك أكثر، كان ذلك أفضل، وأبقيت على جذوة الإبداع متّقدة في نفوسهم. وعليك إسماع طفلتك الصغيرة من حين إلى آخر عبارة «ما أجملك!».

لقد أثبت الدراسات أنّ الأطفال حديثي الولادة يستجيبون للمديح والحنان، وسوف يستنبطون شعورًا بأهميتهم وقيمتهم كلما كبروا، وهو ما يشجع على الاستكشاف الإبداعيّ طوال حياتهم.

obeikandi.com

وعندما يعرض أبناؤك عليك رسمًا أو موضوعًا إنشائيًّا، فكّر في المديح قبل الانتقاد، كأن تقول مثـلًا: أنتِ رائعة يا ناديا؛ فمعظـم الأطفال في سنّك لا يفكرون حتى في كتابـة فقرة واحدة، في حين قمت بكتابة موضوع متكامل، وهذا شيء رائع بحق، أنتِ تعبّرين عن نفسك بصورة جيدة الآن، وأعتقد أنك سوف تبدعين أكثر فـي مراحل لاحقة، هل ترغبين بإعطائك اقتراحـات عن أفكار أخرى يمكن الاستفـادة منهـا؟ امتدحها أولًا، ثم اسألها عـن رغبتها في طلب المساعدة فـي إجراء تعديلات هنا وهناك، بدلًا من تحديد الكلمات التي أخطأت في كتابتها.

تذكّر أنّ المديح يشجع الأطفال على متابعة محاولاتهم الإبداعيّة، ويزيد من ثقتهم بقدراتهم، أمّا الانتقاد فإنّه لا يؤدي إلا إلى تثبيطهم. لذا عليك تحاشي الانتقاد إلى أقصى حدّ ممكن، وعليك أن تسألهم أولًا هل يريدون هذا أم لا. إنّني أذكر معلمة الموسيقى عندما قالت لي وأنا في الصف الثالث: ما رأيك أن تقرأ كلمات تقديم العرض أمام أولياء الأمور بدلًا من المشاركة مع فرقة الموسيقى؛ فأنت لا تملك موهبة موسيقية، ولا أريدك أن تفسـد الحفل الموسيقي. وما تزال تلك الكلمات ترنّ في أذنيّ على الرغم من مرور هذه السنين الطويلة، وقد تخلّيت فعليًّا عن أيّ اهتمام لتعلّم الموسيقى منذ ذلك الحيـن. ومع أنّ معلمتي ربما كانـت محقة بخصوص القدرات الموسيقيـة لطالب في الصف الثالث، ولكـن لا أحد يعرف ما سيحدث في حياة الإنسان لاحقًا؛ فلقد كان المخترع الأمريكي توماس إديسون يعاني مشكلة في السمع منـذ طفولته، ولكنه صنع مشغلًا للأسطوانـات الموسيقية في مرحلة لاحقة من حياته، أمّا صاحب النظرية النسبية في الفيزياء آلبرت آينشتاين فقد تأخّر في النّطق حتى السنة الرابعة من عمره، ولكن كان لديه الكثير ليقوله في سنّ الرشد، وجعل العالم كلّه يستمع إليه.

إن قدرة الطّفل الإبداعيّـة غير محدودة عمليًّا، ولكنه قد يتخلى إلـى الأبد عن اهتمامه بمجال من المجالات إذا ما تعرض للانتقاد. وحتـى لو لم تظهر على الطّفل أيّ علامات موهبة في مجال من المجالات، فـإن عليك إيلاء أيّ شيء يقوم بـه، ويطلب إليك مشاهدته، اهتمامًـا كبيرًا، وأن تمتدحه كثيرًا إذا كنـت راغبًا في متابعة مساعيه الإبداعيّة طوال حياته. يضـاف إلى ذلك أنّ الإبداع لا يمكن تصنيفه، فهو اتجاه ومنحى من الحياة، يتعيّن عليك تعزيزه إلى أقصى قدر ممكن.

- **أكنـت أبًـا أو أمًّا، لقـد ذكّرتك في كلّ جـزء من أجزاء هـذا الكتاب بضـرورة أن تكون مثالًا حيًّـا أمام أطفالـك لشخص يستمتـع بمساعيـه الإبداعيّة:** إن كنتِ أمًّـا فأظهري لهم أنه ليـس من الضـروري دائمًا التّقيّد بوصفـات إعداد الطعـام، وأن بإمكانـك إضافة لمستك الإبداعيّـة الخاصة عندمـا تعدّين وجبـة الطعام، أو عندمـا تمارسين لعبـة المطاردة في

الشارع. وباستطاعة الأمّ أو الأب ارتداء الملابس التي تستهويهما، وليس الملابس التي تحمل علامات تجارية، أو أسماء مصممين مشهورين، وأن يخبرا أطفالهما أنّ ما يهم هو الشّعور بالرّاحة في هذا اللباس، لا أن يقلّدوا الآخرين في ذلك.

وبإمكانكما، بوصفكما والدين، أن تشجعا أبناءكما على أعمال إبداعيّة، وتعلّم أشياء جديدة، مثل المشاركة في طلاء البيت، واتّخاذ قراراتهم بأنفسهم، وألّا يجعلوا آراء الآخرين قيدًا لتصرّفاتهم وكيفية عيشهم.

- **إن كنت تريد لأطفالك السّير على درب الإبداع فلا تعاملهم وكأنّهم صغار**: فإن تحدثت إليهم دون مبالاة، وقللت من شأنهم، وعاملتهم كما لو كانوا غير قادرين على فهم حديث الكبار، فإنك في الحقيقة تعلّمهم الشّكّ في أنفسهم. ومثل هؤلاء الأطفال لن يقدموا على محاولات تتطلب شخصيّة متميّزة. فإذا كان الطّفل يتحدث بطريقة لا يحسن فيها استخدام اللغة، فلا تحاول أن تكرر أسلوبه في الحديث مباشرة، وتحدث إليهم على أنّهم أفراد ناضجون طوال حياتهم، فباستطاعتهم استيعاب أيّ شيء تقوله بطريقة طبيعية وودودة وهزلية، وليسوا بحاجة إلى سماع كلمات مثل: «الواوا والنونو» وغيرهما.

وإضافة إلى ذلك، تجنّب التّحدّث إليهم بتعالٍ. إنّني ما زلت أذكر معلمة المرحلة الابتدائية التي كانت تتحدث إلينا دائمًا في غرفة الصّفّ بهذه الطريقة التي كانت تحبطنا، وتقتل الحماسة فينا، وقد ناقشنا طريقتها السّخيفة في الحديث، وكنا نشعر بالدّونيّة في وجودها. لذلك كلما تحدثت إلى الأطفال بنظرة مهينة جعلتهم يشعرون بالإحباط، وأنهم عاجزون وغير راشدين. وعليه؛ فإنّ أيّ مراهق أو مراهقة سوف يشعر بالامتعاض إذا ما خاطبناه كما لو أنه طفل لا حول له ولا قوة، وسنجعله يفقد الثقة بنفسه. وهذه الحقيقة تنطبق أيضًا على الأطفال من عمر 6 ـ 12 سنة، فهم أيضًا يريدون أن يشعروا بأنهم راشدون، ناضجون، مهمون، ومبدعون. وإذا خاطبتهم كما لو أنهم أغبياء غير قادرين على فهم لغة البالغين، فإنهم سوف ينطوون على أنفسهم ويبتعدون عنك. لذا؛ استخدم نبرة اللغة ذاتها مع أبنائك طوال حياتهم كما لو كنت تحادث صديقًا لك، وعندئذ ستفتح المجال أمام تطورهم الإبداعيّ.

- **إذا كنت ترغب في مساعدة أطفالك على التّطوّر إبداعيًا، فامنحهم فرصة اكتشاف العالم دون أن تملأ البيت بالدمى والألعاب**، فإذا اشتريت لهم لعبة في كلّ مناسبة، فأنّى

لهـم تعلّم استخدام خيالهم الإبداعيّ؟ اسمح لهم أن يبنـوا ناديهم الرّياضيّ بأنفسهم بدلًا من أن تشتـري لهم واحدًا مصنوعًا من البلاستيك زهيد الثّمن. دعهم يشعرون بمتعة صنع سيوفهـم بأنفسهم بدلًا من شراء لعـب تعمل بالبطاريـة، وترسل أشعـة إلكترونيّة للقضاء علـى أعدائهـم الافتراضيين. اسمح لهـم باختراع ألعابهم بـدلًا من أن تشتـري لهم ألعابًا يملّونهـا سريعًا. وبعبارة أخـرى: امنح أطفالك فرصة استخـدام عبقريتهم الإبداعيّة بدلًا مـن تزويدها لهم مع تحيات المُصَنِّـع. وفي أثناء قيامك بكلّ ما ذُكـر، حاول إغلاق التلفاز ساعـات عدة يوميًّا، وشجـع الأطفال على الخروج مـن البيت، وتعرُّف العالـم الواقعيّ. أمّا إذا انشغلوا على مدار فراغهم بالأدوات والتسليـة المبرمجة، فستتبلّد حواسهم، ويتعلّمون الاعتماد علـى أشخاص أو أشياء خارجيّـة تجلب البهجة والسّرور إلـى نفوسهم. إنّ الطّفل الـذي يشاهد التّلفاز يرى أنه يطرد عنه الملل، في حين أنّه يسبب له الملل. إنّ ما يحتاج إليه الطفل المبدع هو أن يتعلم كيف يلبّي احتياجاته دون إحساس بالسأم. وبالتأكيد إنّ مشاهدة التلفـاز مرات معقولة ليس ضـارًا، ولكن إذا عرفنا أنّ الطّفل الأمريكـي العادي يقضي وقتًا في مشاهدة الإعلانات التجاريـة يزيد أربع مرات على الوقت الذي يقضيه في المشروعات الإبداعيّـة، فربما يجعلك ذلك تفكّـر في السّماح لأطفالك بالاعتمـاد على أنفسهم بصورة أكثـر. وعلى الرغم مـن أنّ الألعاب أشياء رائعـة، فإنها ليست مصدر الإبـداع، بل إنّ قدرة الطّفـل على اختراع لعبة بنفسـه هي الدليل الحقيقيّ على الطّفل المبـدع. أمّا أنت، فحاول أن تكون مبدعًـا عندما تشتري الهدايا لأطفالك؛ كأن تشتري لهـم الألواح والمكعبات لبناء قصورهـم، وأدوات الفن لرسم أشكالٍ مبتكرة، أو شراء الكتـب والألغاز التي تحفّز ميولهم الإبداعيّة، وبهذا فإنك تحدث تغيّرًا في إبـداع الطّفل من خلال قراراتك الشّرائيّة، وعليك والحالة هذه توظيف إبداعك إلى أقصى حدّ عندما تتسوّق لهم.

- **لا أعـرف، قلهـا دون خـوف ولا وجل**، والأهـم مـن هـذا أن تعلّـم أطفالـك أن يقولوا عند الضرورة: لا أعرف، ولكني سوف أحـاول أن أعرف. عندما يكون الأطفال في موقف يتطلب منهـم الإجابـة عن أسئلـة حتى وإن كانـوا يجهلـون إجاباتهـا، فإنّهم يأخذون فـي اختراع الإجابـات وممارسة خداع الذات، لذلـك علّمهم قيمة أن يقولوا: لا أعـرف. فهذا من شأنه دفعهـم إلى البحث عن المعرفـة والمعلومة. أمّا الأشخاص غيـر المبدعين فسوف يكذبون ويخترعـون حكاية طويلة ليغطوا بها على جهلهم. وكلما سمعك أطفالك مردّدًا لهذه العبارة

قلّ الضّغط عليهم لإعطاء الجواب الصحيح دائمًا، وبذلك يقتربون أكثر فأكثر صوب النّهج الإبداعيّ في حياتهم.

- **امنح الأطفال فرصة كافية لاكتشاف الأشياء وحلّ المشكلات في الحياة بأنفسهم؛ فليست مسؤوليتك ملء فراغهم دائمًا**؛ إنّ مهمتك هي مساعدتهم على فهم الأشياء بأنفسهم قدر المستطاع. ومن المؤكّد أنّك لا تريد أن تكون شخصًا يتكل أبناؤه عليه، بل الأخذ بيدهم حتى ينجحوا في التّخلّص من الاتكالية، فإذا قالوا لك إنهم يشعرون بالضّجر، فاحذر أن تجوز عليك هذه الحيلة، لتحمّلك مسؤولية تسليتهم والترفيه عنهم، وقل لهم صراحة إنّك غير ملزم بملء فراغهم بأنشطة مثيرة. وإذا نجحت في عدم الوقوع في المصيدة، فسوف تجد أنهم سيبدؤون في ابتداع أمر ما لإشغال فراغهم، وتطوير إبداعاتهم.

وأنا شخصيًّا لم أشعر إطلاقًا أنّي مضطر إلى اللعب مع أطفالي، ومع أنني أحبّ ذلك، فإن هذا يجب أن يكون خيار الطرفين معًا. لم أقتنع يومًا في الجلوس في البيت ولعب (الدّاما)، مع أنّ زوجتي تقوم بذلك. لهذا فهم يلعبون معها الألعاب المنزلية الدّاخليّة كلّها ويتمتعون بذلك، أمّا أنا فأحبّ أن أتصارع مع أطفالي، وأن ألعب الكرة معهم، وأن نقرأ، أو نركب الدرّاجات الهوائيّة، أو الذهاب إلى المطعم معًا، ولكني لا أشعر بأنّ من اللازم عليّ ممارسة ألعاب لا تستهويني لإرضائهم، إضافة إلى أنهم لا يفكرون أبدًا في تنفيذ أمور يكرهونها من أجلي. فإذا كانوا لا يحبّون شيئًا ما فإنهم يقولون بصراحة إنّ هذا لا يعنيهم، ثم يمضون في حال سبيلهم. لذا فلي الحقّ نفسه الذي لهم.

يجب أن تجلب الأنشطة التّرفيهيّة التي تمارسها مع أطفالك البهجة والسّرور لكم جميعًا، فإذا وددت اللعب معهم، ولكنك لا تحبّ السباحة أو المشي، فعليك اقتراح خيارات أخرى يستمتع الجميع بها، وإن أصرّوا على فعل ما يريدونه هم فشجعهم على ذلك، ولكن لا تجعلهم يجبرونك على فعل شيء لا تحبّه، ولا تتردّد في حثّهم على ابتكار طرائق إبداعية لملء أوقات فراغهم بأنشطة تطرد السأم عنهم بأنفسهم، لا أن ينظروا إليك بصفتك المصدر الوحيد لتسليتهم في الحياة.

- **امنح الأطفال حريتهم في الابتكار والتّفكير والتّأمّل، أو تنفيذ أيّ شيء يحبّون القيام به**: الأفراد المبدعون يحتاجون إلى الخلوة والخصوصية! فلا تسألهم دائمًا: ما المشكلة؟ أو ما بك؟ أو لِمَ لا تشاركنا في هذا؟ أو أنا أمك، بإمكانك إخباري. إنّ طفل السّنوات التّسع

الـذي يأتي راكضًا إليك بعد أن جرح ركبته، طالبًـا مواساته والتخفيف عنه، هو نفسه الذي يسرع إلى غرفته إذا مـا أُصيب بخَدْش بعد ثلاث سنوات، صافقًـا الباب خلفه وغاضبًا إذا مـا أردت مساعدته أو التّحدّث إليه عن إصابته، لـم تنقضِ سوى ثلاث سنوات على الحادث الأول، وأنت ما زلت فيها الأب أو الأمّ دون تغيير، ولكن الشخص الذي تغيّر في هذه المدة هو الطفل؛ إنه يحتـاج الآن إلى الاختلاء بنفسه، والتفكير منفـردًا بذاته، والنّجاح في الوصول إلـى حلول المشكلات بعيـدًا عن التّدخّل غير المرغـوب فيه مـن الأب أو الأم بدافع الحبّ. فـإن رأيت مثل هذا المشهـد يحدث في بيتك فلا تنزعـج؛ لأنّ الأطفال لـم يعودوا يهرعون إليـك لحلّ مشكلاتهـم، أو أنّ هناك خللًا ما، وقل: لقد نجحت في عمـل شيء صحيح؛ إنهم يتعلمون كيفية حـلّ مشكلاتهم بأنفسهم، وهذا مـا تعنيه التّربية الأبويّـة؛ تعليمهم التّفكير بأنفسهم ولأنفسهم، والتّوصّل إلى حلول مبتكـرة بأنفسهم. وإذا حاولت أن تجمع أطفالك، وتصرّ على إخبارك بكلّ شيء يصادفهم، أو تجسست عليهم بتفتيش أغراضهم وهم خارج البيـت، فأنت بذلـك تنتهك مبدأً أصيـلًا من مبادئ التّربيـة الأبويّة السّاميـة؛ إنّه الحاجة إلـى الخصوصيّـة، وإلى مكان خاص بهـم لا يخضع للتفتيش العشوائيّ، ومـا دمت تحاول مساعدتهم على اكتساب حسّ الإبداع الشّخصيّ، فلا تفسّر حاجتهم إلى الخلوة بأنه رفض لك، بل هو أمر طبيعيّ وصحّيّ وضروري لهم.

وحيث إنني قضيت ردحًا من الزّمن في متابعة الإبـداع، فإنّني أعترف بحاجتي إلى قضاء وقت طويـل منفردًا، إنّني أحتاج إلى هذا الوقت للتفكيـر دون أن يقاطعني أحد، أو يسألني عما أفعل، أو هل كان كلّ شـيء على ما يرام. إنّني بحاجة إلى الخلوة مـن أجل التركيز في عملي، وحلّ المعضلات التي تواجهنـي دون تدخّلات خارجيّة. وقد حاولت أن أفعل ذلك والآخرون مـن حولي، لكن الأمر لم ينجح معـي شخصيًّا. فإن لم تتوافر لـي الخلوة؛ لأفكر، وأكتـب، وأقرأ، وأشعر بالإحبـاط، وأمزق أوراقي، وأبـدأ من جديـد، ولا أحلق ذقني ـ فـي غياب عيون متطفلـة وفضولية ـ فإنني ببساطـة لا أستطيع أن أبدع. ولا شـكّ في أنّ أطفالك يحتاجون أيضًا إلى مثل هذه الخلـوة، لذا عليك أن توفّر لهم المكان والوقـت للاختلاء بأنفسهـم إذا مـا أرادوا ذلك، ليمارسـوا إبداعهم. ولا تفترض أنّ لديهم مشكلة عندما يحبّون أن يكونوا وحدهم، فهذه علامة من علامات نضجهم.

- **عندما تمتدح أطفالك، عليك أن تؤكد ما يهمهم بدلًا من تأكيد المكافآت الخارجيّة.** علّمهم قيمة السّعي لتحقيق تفوقّهم بدل السّعي للحصول على الميداليات والكؤوس وشهادات التقدير. وإليك هذه المقابلة بين النهجين:

المكافآت الخارجيّة	المديح الإبداعيّ
أنا فخور بك لحصولك على أعلى درجة في الصّفّ.	تخيل أنت تستطيع الآن تهجئة خمسين كلمة زيادة على ما كنت عليه في الأسبوع الماضي.
أنت في المركز الأول، هذا رائع حقًا!	أنت رياضيّ رائع! لقد أفادك ذلك التدريب كثيرًا.
لقد حصلت على أعلى درجة في اختبار الاستعداد المدرسي، هذا إنجازٌ كبير بحق.	بالتأكيد إنك رائع في أداء هذه الاختبارات، كنت أعرف دائمًا أنك عبقريّ.
لقد مُنحت جائزة لانتظامك في المدرسة.	أعتقد أنك فخور بنفسك لأنك لم تتغيب عن المدرسة يومًا واحدًا.

يجب أن ينصبّ الاهتمام على ما يعنيه التّحصيل والإنجاز للطفل، وليس على الذي سيفوز عليه، أو على مقارنته بآخرين في المدرسة. إنّ الأفراد المبدعين يتميّزون بأنّ لهم مقاييسهم الدّاخليّة المهمة لهم، ولا يعنيهم إنجازات الآخرين، ولهذا كلما زدت من توكيد ما يعنيه كلّ نشاط للطفل شخصيًّا ساعدته أكثر على تحقيق تفوّقه الدّاخليّ. وتذكّر أنّ الطّفل الذي يضع نصب عينيه هزيمة طفل آخر ليشعر بالفوز، أو الذي يراقب المنافسين الآخرين لمعرفة أدائهم، هو في الواقع طفل مقيّد بإنجازات غيره، وهذا ليس إبداعًا. إنه يتخذ الآخرين معيارًا لنجاحه؛ فإذا تعثّر منافسه، فهذا يعني أنه الفائز. وهذا في واقع الأمر تفكير المخفقين؛ فإذا كان عليك أن تفوز على الآخرين دائمًا، أو أن تكون في المركز الأول بأيّ ثمن، فسوف يلازمك الإخفاق طوال حياتك؛ إذ لا يوجد إنسان يمكن أن يظل في المركز الأول دائمًا. لهذا فإنّ هذا المقياس للتّميّز الشّخصيّ يجعلنا خاسرين جميعًا.

إنّ البديل لهذا المقياس هو البحث عن مقاييسنا الشّخصيّة في داخلنا، فيمكنك مثلًا أن تكون منافسًا، وأن تبذل أقصى ما تستطيع من جهد في مجال معيّن من مجالات الحياة، ولكن لا تحكم على نفسك بأنك خاسر لأنّ شخصًا آخر تفوّق عليك. إنّ الأفراد المبدعين هم الذين لا يقارنون أنفسهم بالآخرين، بل يتعاونون معهم، ويستخدمون عقولهم الإبداعيّة بطرائق تناسبهم. ويمكنك أن تشجع

هذا الميـل عند الأطفال من خـلال عدم التشديد على ضـرورة هزيمة الآخريـن، وأعطهم الفرصة ليمارسـوا رياضاتهم التّنافسيّـة دون تدخّل من البالغيـن، وأن يتخذوا قراراتهـم بأنفسهم في أثناء اللعـب، وأن يحلّوا خلافاتهم بأنفسهم بدل أن يحلها لهم الكبار. وبعبارة أخرى، دع الطفل، وليس أنت أو أيّ شخص آخر ذي سلطة، يختار ألعابه بنفسه، واترك المنافسات الكبيرة الصعبة لمن يرغب في أن يصبح رياضيًّا محترفًا.

تذكّـر دائمًا أنّ الأطفـال المبدعين ليسوا بالضـرورة نظيفين ومهندمين، فـإذا أصررت على إبقائهـم نظيفين، فأنت فـي الواقع تتجاهـل تطورهـم الإبداعيّ؛ لأنهـم بحاجة إلـى الاستكشاف، واللعب بالتراب والرمل، وفي أثناء هذا النشـاط، سوف يصابون بخدوش وكدمات وجروح، وستتسخ أيديهـم ووجوههم، وما عليك إلّا تقبّل هذا الواقع بدلًا من تغييـره. فمن المستبعد جدًّا أنهم لا يحبّون أن تظـل غرفهـم نظيفة، ولكنك كلمـا خففت من الضغط عليهـم لتنظيم حياتهم بنـاء على مبادئك زادت احتمـالات اكتسابهم لعادات إبداعية سليمـة. إنّ الإبداع لا علاقة له بترتيـب الأشياء ووضعها في أماكنهـا، وتنظيم الحياة كما لو كانت سجـل محاسبة، بل يعني أن يكون الإنسـان طليقًا وحرًّا في التّفكير والاستكشاف، ومتّسخًا بين حيـن وآخر. إنّه لا يعني الصرامة ولا التنظيم، لذا لا تشدّد كثيرًا على وجوب أن تكون حياتهـم مرتبة ومنظمة، واسمح لهم أن يتصرّفوا بتلقائية قدر الإمكان. وعندما تطلـب الأم إليهم تنظيف غرفهم فهـذا تناقض بذاته؛ فـإذا كانت الغرفة هي غرفـة الطّفل حقيقة، فعليـك ألّا تشدِّد عليهـا، وأن تترك للطّفل الخيار في ترتيبها، فإذا لـم تشاهد الصراصير تهرول من تحـت باب الغرفة، فليس هنـاك مشكلة صحية. لذلك اترك غرفة الطّفل كما هي غرفة طفل! إنّ غرفة الأطفال هي فضاءات إبداعاتهم، وكما أنّك لا تحبّ أن يقول لك أحد كيف ترتّب غرفتك وتعيش فيها، فإن لهم هذا الحـق أيضًا، وعندئذ سوف توفر على نفسك شجارات كثيرة إذا ما عوّدت نفسك إغلاق البـاب وتجاهل الفوضى. وفي المحصلة، إذا كانوا أطفـالًا استثنائيين، فَلِمَ تفرض عليهم أن يعيشوا في غرفهم بالطريقة التي تريدها؟

لقـد قدمت لك في الصفحات السابقة بعض الأفكار لمساعدة الأطفال على الارتقاء بقدراتهم الإبداعيّة، وإذا ما تذكّرنـا أنّ الإبداع اتجاه من الحياة، وأنه شيء عصيّ على التّعريف، فبإمكانك أن تفعل أشياء كثيـرة لمساعدة أطفالك على السير في هذا الطريـق. إنّ الإبداع شيء لا يمكن قياسه أو تصنيفـه أو تقويمه من قبـل أيّ إنسان آخر؛ لذا عليك أن توقف المحـاولات الخارجية لتحديد مقدار

الإبداع وتقويمه عند طفلك. وإليك هذا الاقتباس مما قاله الموسيقار وولفغانغ أماديوس موزارت الذي توفي عن 35 عامًا (1756 ـ 1791) وكان يعدّ من أشهر العباقرة المبدعين في تاريخ الموسيقى:

«عندما أكون على طبيعتي، وأخلو إلى نفسي تمامًا، أو في الليل عندما يجافيني النوم، تتدفق أفكاري بغزارة. أما كيف تأتي هذه الأفكار ومتى، فلا أعرف. إنني لا أستطيع إجبارها على الإتيان».

تذكّر هذه العبارة «عندما أكون على طبيعتي» لأنها تعني جوهر كلّ ما كتبته في هذا الفصل. ولا شكّ في أنّ إبداع الأطفال الذين يُسمح لهم بالتّصرّف على طبيعتهم تمامًا سوف يشع مثلما تسطع شمس الظهيرة.

◇ ◇ ◇

obeikandl.com